التعليق على كتاب

رشح البرد

شرح

الأدب المفرد

أ.أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهرلكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الجزء الثّالث

اللّقاء الواحد والعشرون

الإثنين: ٤ جماد الآخر ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نبدأ مستعينين بالله نكمل الكلام حول الأحاديث الواردة في كتاب: (الادَب المُفرَد) للبخاري -رحمه الله- وقد جمع في هذا الكتاب ما به يظهر أدب المرء كما أدبنا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- والتأدب والأدب إنما هو انفعال الاعتقاد، فإذا صح اعتقاد العبد صح انفعاله فتأدب بالأدب الذي أتى به الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- فمجمل الكلام عن الآداب إنما هو السلوك الصحيح الذي يثبّت المرء على الصراط المستقيم؛ لذلك لا يستهان بالآداب؛ لأن **من فقد الأدب، جر فقده الأدب فقده للصراط المستقيم**، وإن شاء الله يظهر لنا هذا أكثر ونحن نناقش أحاديث هذا الكتاب المبارك.

نسأل الله عزَّ وجلَّ، ونحن نشرع في أوله، أن يتمم لنا قراءة الكتاب كاملًا من فضله اللهم آمين.

٤١- بَابُ مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ أَوْ وَاحِدَةً

٧٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابن يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ ابن عِمْرَانَ؛ أَبُو حَفْصٍ التُّجِيبِيُّ، عَنْ أَبِي عُشَّانَةَ الْمَعَافِرِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ ابن عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاَثُ بَنَاتٍ، وَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ).

شرحُ الكلمات:

- جِدّته: من غِناه.
- كُنَّ له حجابًا من النار: أي: يكون جزاؤه على ذلك وقاية بينه وبين نار جهنم حائلًا بينه وبينها.

فِقهُ الحديث:

١) فيه تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالبًا عن القيام بمصالح أنفسهن.

٢) فضل النفقة على البنات والبرّ بهن.

٣) عناية الأبوين بالبنات تربية وتهذيبًا سبب لدخول الجنة وعلو المنزلة فيها.

٧٧- حَدَّثَنَا الْفَضْلُ ابن دُكَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا فِطْرٌ، عَنْ شُرَحْبِيلَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُدْرِكُهُ ابْنَتَانِ، فَيُحْسِنُ صُحْبَتَهُمَا، إِلَّا أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ).

فِقهُ الحديث:

١) رعاية البنات والقيام عليهن بالتربية والإحسان إليهن سبب لنزول رحمة الله.

٧٨- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ ابن زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ ابن زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابن الْمُنْكَدِرِ، أَنَّ جَابِرَ ابن عَبْدِ اللهِ حَدَّثَهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: (مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاَثُ بَنَاتٍ، يُؤْوِيهِنَّ، وَيَكْفِيهِنَّ، وَيَرْحَمُهُنَّ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ). فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ: وَثِنْتَيْنِ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (وَثِنْتَيْنِ).

فِقهُ الحديث:

١) حق البنات آكد من حق البنين لضعفهن عن القيام بمصالحهن من الاكتساب وحسن التصرف وجزالة الرأي.

٢) سوف يُعطي الله الوالد الكفيل، تذكرة الجنة على رعاية البنتين وكفالتهما أيضًا.

٤٢- بَابُ مَنْ عَالَ ثَلاَثَ أَخَوَاتٍ

٧٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ابن عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ ابن مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلِ ابن أَبِي صَالِحٍ، عَنْ سَعِيدِ ابن عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابن مُكْمِلٍ، عَنْ أَيُّوبَ ابن بَشِيرٍ الْمُعَاوِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (لاَ يَكُونُ لأَحَدٍ ثَلاَثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلاَثُ أَخَوَاتٍ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

شرحُ الكلمات:

- فيحسن إليهن: هذا يشمل كل الخصال المحمودة من أدب وإنفاق وحسن معاشرة ونحو ذلك.

فِقهُ الحديث:

١) البشارة بالجنة للذين يقومون برعاية البنات أو الأخوات رعاية تامَّة.

٢) فضل الإحسان إلى البنات والنفقة عليهن والصبر عليهن وعلى سائر أمورهن.

هذه الأحاديث التي قرأناها في بابين، باب: (مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ أَوْ وَاحِدَةً) وباب: (مَنْ عَالَ ثَلاثَ أَخَوَاتٍ) كلها دليل على رحمة هذا الدين للإنسان، وهنا سننظر للإنسان من جهة المعيل ومن جهة المعال، يعني البنت والأخت والمرأة عمومًا خلقت بصفات معينة، خلقها الله تحتاج من يعولها، فهي أضعف بدنيًا وأضعف عن القيام بمصالح نفسها وأضعف في رأيها وأمور كثيرة تحتاج منا النظر والتأمل الصادق في كون الله -عزّ وجلّ- خلقها على خلقة معينة لوظيفة معينة، هذه حالها ورحمة بها جعل لها من يعولها.

أما العائل الذي سيعولها ويهتم بها فرحمة به جعل الله له باب أجر عظيم في كونه يعولها، وهنا دائمًا يأتي سؤال: ماذا لو كان الذي يعول البنات أمهم؟ بمعنى تخلى الأب أو فقد أو فقد العم والخال، تخلى الأرحام من الرجال عنها، المأمول أن يكون لأي أحد يعول البنات هذا الأجر زيادة عن إعالة الأولاد، وعندما تقوم حركات مثل الحركات النسوية في مجتمعنا يقال لها: انظري كم كُرمت المرأة بنتًا وزوجةً وأمًّا؟ كم كرمت المرأة؟! مر معنا الكلام عن الأمهات، ومر في الأحاديث: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُم عُقُوقَ الأُمَّهاتِ)[1].

ومر في الأحاديث: أمك ثم أمك ثم أمك، هذه من النصوص التي حفظناها منذ نعومة أظفارنا، فكيف يقول أحد: نريد غير الإسلام ينصف المرأة؟! الممارسات الجائرة الحاصلة على المرأة من آثار الجاهلية وليست من آثار الإسلام، فأي امرئٍ فيه جاهلية نحاسبه على جاهليته ولا نتكلم عن الإسلام، فالبنات نعمة من نعم الله -عزّ وجلّ- علينا، متى ما قام الأبوين بما افترضه الله عليهم من الإحسان سيكون هؤلاء جنة الدنيا.

أهل الجاهلية هم الذين كانوا لا يحبون البنات ويترقبون الأولاد لأن حياتهم كلها عبارة عن حروب، قتال، وهم يريدون أحد يساندهم في القتال، أما البنت لا يحبونها؛ لأنها تجمع بين مشكلتين عندهم:

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٥).

المشكلة الأولى: أنها لا تقف بجانبهم في القتال.

والمشكلة الثانية: أنها لو سبيت فعار عظيم على الرجل.

هذا الرجل العربي كان يهدد بعرضه، بأهل بيته، فكان الحل عنده أن يميت عرضه ولا يهدد به، فحتى عدم حبهم للبنت فيه جزء إكرام لها، أنه يتحمل مسؤوليتها، لكن لو كان لا يهمه، لأتى بهم ولاهتم.

نتيجة أنهم لا يعتبرون المرأة شيئًا في الوقت المعاصر؛ لذلك هم يكلمونك عن تحريرها، لكن فيما مضى حتى أهل الجاهلية كانوا يرون أنها مسؤوليتهم، مثل ما يقول لك أحد: اليوم أنا أكره المسؤولية ولا أحبها وأخاف منها! فكر بهم بنفس الطريقة، نريد أن نقف أمام عظمة الإسلام وكونه أنكر على أهل الجاهلية فعلهم وسفههم وأيضًا، نقف على بيان وصف المرأة أمام وصف الرجل، فلو بدأنا بسورة النحل ورأينا موقف الجاهلية التي أنكرها الإسلام عليهم ومنع أهله من مثل هذا الموقف، نعرف كم جعل الإسلام للمرأة مكانة مقابل ما هم عليه الآن:

يقول الله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (الآية: ٥٨-٥٩).

هم يحقرون المرأة ويهونون من شأنها ويصيبهم من الهم والغم والحزن والغيظ والكراهية التي حصلت لما بُشّر بالأنثى، حتى أن وجهه يسود وهو مشتد الغيظ على امرأته لأن بزعمه أنها هي التي أتت له بالعار! ويستخفي من القوم من سوء ما بُشر به لأنهم سيعيرونه أنه أتى بالبنت ثم يفكر ماذا سيفعل؟ فإما أنه يحدث نفسه أن يتركها على هوان وذل، بحيث أنه لا يورثها ولا يعتني بها، أو يخفيها ويدفنها حيّة! هذا هو حالهم؛ لذا كما في سورة النحل هذا الخبر أنه يفكر، تأتي سورة التكوير الآية الثامنة والتاسعة فيها أن هذا كان يحصل وأنهم يوم القيامة سيكون لهم حال مع هذا الذنب عمومًا، وليس بعد الكفر ذنب، أي شيء آخر بعد الكفر يهون، لكن من عظمة هذا الذنب أنه سيحصل ما سيأتينا خبره الآن:

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ * فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ

بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (التكوير: ١-٢٩).

السياق كله في تهويل الموقف الذي سيكونون فيه، في آخر السورة قال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} هذا القرآن المتلو عليكم ما هو إلا ذكرى، تذكرة وعظة لكم، يذكركم بما غرز في طباعكم من الميل إلى الخير واستقباح القبيح، وإنما نسيتم هذا بسبب ما طرأ عليكم من عاداتكم، هذا نهاية السورة لذلك في بدايتها أتى التذكير بالفعل الذي تستقبحه كل النفوس السوية؛ لذا نعود إلى أول السورة لنرى كيف أتت في السياق، نتعجب أن أتى في السورة سؤال الموؤدة وهذا دليل أن لها كرامة عند الله لدرجة أنها تُسأل فيكون مزيد تنكيل بالفاعل.

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} حدث عظيم، كورت يعني: أُزيلت من مكانها ومحي ضوؤها.

{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} يعني: تناثرت وانقضت، وهذا كله إشارة إلى أن العالم المنتظم الذي كان دليلًا على الله في انتظامه سيكون نثره وفكه وإزالته دليلًا على قدرة الله أيضًا، فالشمس تكور والنجوم تتناثر.

{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ} رفعت عن وجه الأرض أثر الرجفة والزلازل، فقطعت عن جذورها التي تحت الأرض.

{وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ} هذا أمر يقترب منهم، العشار هي: الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهي من أنفس أموال العرب لأن هذه الحوامل يتنافس فيها أهلها ويهتمون بها لتلد وتأتي لهم بالخيرات، لكن من شدة هول الموقف أُهملت هذه العشار التي هي رمز المال.

{وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} الوحوش معروفة، تجمع من كل جانب، وهي لا تجتمع، لكنها تخرج من كل جانب هائمة مذعورة من أثر الزلزلة.

{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} ملئت بالتفجير، فجر بعضها ببعض حتى تعود بحرًا واحدًا، ويقال: سجر التنور إذا ملأه بالحطب، وهي تشبه في الانفطار: {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} سبحان الله كل هذه الأحوال العظيمة تحصل على العالم. نأتي عند الإنسان:

{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} سيحصل أول أمر وهو: أن تقترن الأرواح بالأجساد عند النفخة، وهذا من معاني {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} ، أو أن يجتمع أهل الخير مع أهل الخير ويجتمع أهل الشر مع أهل الشر، فيصبحوا أصنافًا، لكن المعنى الأول قريب من المعنى الذي سيأتي.

علينا أن نتصور هذا الهول العظيم وكيف تجتمع الأرواح مع البدن بالمعنى الأول، في وسط هذا الهول العظيم جدًا يأتي شاهدنا: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} الموؤدة هي: المقتولة الصغيرة التي -كما في سورة النحل- يفكر هل يدعها تعيش ويهينها، أو يدسها في التراب، فمن يدسها في التراب سيُسأل في وسط هذه الأهوال العظيمة وأول ما تجتمع الأرواح مع الأجساد وأول ما يجتمع أهل الشر معًا، من علامات ذاك اليوم العظيم أن التي قتلتموها بدون ذنب ستسأل: {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} لماذا سميت موؤدة؟ وسمي: وأد البنات؟

الوأد: من الثقل وكأنه يقال: يثقلون عليها التراب حتى تموت؛ لذا سميت: موؤدة. وهذه التسمية تثير في النفس الاشمئزاز، كيف تُقتل...؟ فصلنا في الموؤدة حتى نفهم عندما نتكلم عن الإجهاض الذي أُبيح عند أهل الكفر، أُبيح لها أن تزني -والعياذ بالله- وأبيح لها أن تقتل النفس، فنقول: هذا مثل هذا، كله وأد وقتل من لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فإذا كنت تفهم أن هذا في الجاهلية فقط تكون مخطئًا لأن هذا وأد بطريقة وهذا وأد بطريقة، الكفار لو كان عندهم فيما مضى طريقة أن يعرفوا ما في بطن الأم من بنت أو ولد لأجهضوها مثلما يفعلون اليوم، وهؤلاء يجهضون البنت والولد، هذه الموؤدة التي قُتلت حُتف أنفها وهي لا تملك! يوم القيامة ستُسأل.

كيف تُسأل عن قتلها بأي ذنب وهي أولًا لا ذنب لها؟ كيف يُسأل من لا ذنب له ولا عقل له أيضًا؟ ما الفائدة من سؤالها؟ هذا المراد به طلب الحجة، كأنه يقال: هات حجتك، من بين كل الذنوب والتي أعظمها: الشرك والكفر. أتى هذا الذنب الذي يخالف الفطرة السوية وبرز، وقيل له: لماذا قتلتها؟

السؤال موجه لها لكن هو في حقيقته على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة، فالقتلة هاهنا هم المسؤولون على الحقيقة لا المقتولة، كأنهم يُسالون عنها، فأي حفاظ على كرامتها أكثر من هذا الحفاظ...؟

وهذا الأمر يجري على كل من ظلم طفلًا من ولده، والله أعلم أنه يقال: ضُربت ما ذنبك؟ بأي شيء استحل فعل كذا فيك؟ الله يعيذنا من الظلم ويكفينا شر هذه الأحوال، ونحن ننبه إلى هذا الأمر: صحيح أننا نلتفت إلى الجاهلية التي سبقت الإسلام لكننا نبين أيضًا الجاهلية التي نعاصرها فلا نغض الطرف عن الجاهلية التي نعاصرها فهي سائرة نفس المسير، وإن كانت توهمك أنها تكرم المرأة فلا إهانة فوق تلك التي تجعل المرأة مجرد موطن للّذات ولا جمع بين أن تكون موطن للّذات وإثارة الشهوات وبين التكريم، هذا مع هذا ليس مجموعًا أبدًا، نعوذ بالله من الخذلان، نسأل الله أن يكشف الغمّة عن بنات هذه الأمة ويجعلهن محاضنًا للخير ويجعلهن مبصرات! ويتركون عنهم هذه الشبه التي ترمى على قلوبهم لتضعف إيمانهم، نسأل الله أن يحفظ بناتنا وبنات المسلمين جميعًا اللهم آمين.

اللّقاء الثاني والعشرون

الثلاثاء: ٥جماد الآخر ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اليوم إن شاء الله في هذا اللّقاء نستكمل الكلام حول الأجر المرتب على إعالة البنات وكيف أن الشريعة الغراء جعلت هذا الباب من أبواب الأجور العظيمة، وكيف رتبت على رعاية البنات وإعالتهن أن يكن حجابًا وسترًا لمن رعاهن من النار، هذا من المؤكد أنه أجر عظيم فيه حث للنفوس الضعيفة من أن تتأفف وتتضجر وتشعر بالثقل، بل وفي هذه النصوص أمر عظيم يخالف حال أهل الجاهلية -كما مر معنا- فإن أهل الجاهلية يستثقلون البنات وأهل الإسلام يفرحون بهن، فكيف لا نفرح بمن هن ستر لنا من النار؟!، وهل الحياة إلا مسيرة يسيرها الإنسان لأجل الأعمال الصالحات من أجل أن يصل في النهاية وينجو من النار؟ فكيف تأتي الشريعة الغراء فتجعل النجاة من النار سببها رعاية البنات، فما أعظم هذه العطية وما أعظم هذه الشريعة التي أتت أوامرها التي تثقل على النفوس مربوطة بأجور عظيمة جدًا.

وهنا نجد نوع تناسب بين صلة الأرحام وبين رعاية البنات، نجدها من جهتين:

- في صلة الأرحام كان الأبناء مأمورين برعاية الآباء والأمهات والأقرب فالأقرب، ورُتب على ذلك أجور عظيمة.
- وهنا كان الأمر بالعكس، وصية الآباء والأمهات والأقرباء من الأرحام بالأبناء وخاصة البنات اللاتي هن ضعيفات، بمعنى أن إعالة البنات نوع من أنواع صلة الرحم لكن هذا من الأعلى إلى الأدنى، من الآباء يرعون الأبناء، وفي صلة الرحم نجد أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قد حض الأمة على صلة الرحم مهما وجد الإنسان صعوبة في ذلك ورتب على ذلك من أجور عظيمة؛ لأن فيه صعوبة أتت بالأجور العظيمة، والصعوبة تأتي من جهة النفس في التعاملات ولذا من أراد أن يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه.

الشريعة حضت الخلق بذكر الأجور والفوائد في الدنيا والآخرة، وهكذا هنا لصعوبة الإعالة، والصعوبة قد تكون نفسية لا مادية؛ لذا الشيطان ينفر منها فلا فائدة فيها لأن الإنسان عندما يتصدق على من في الخارج يمدحه الناس ويمجدونه وينظرون له نظر المعجبين به ويكرمونه أينما دخل، لكن عندما يعول بناته أو بنات أخوه يشعرون أنها مسؤوليته فلا يوجد هذ الشكر، غير أنهم قد يكونون نكارين للمعروف! وهذا حاصل،

يحصل منهم الإنكار فلا يحترمونه ولا يأخذون منه النصح فيجد في نفسه ثقل، فهكذا يجتمع الموضوعين، إعالة الجواري -البنات- نوع من أنواع صلة الرحم من أعلى إلى أدنى فيه صعوبة.

والأمر الثاني: من الأدنى إلى الأعلى فيه صعوبة أيضًا.

ولذا وفق البخاري توفيقًا عظيمًا في جعل إعالة البنات بعد صلة الرحم، ولا حاجة للقول إن البخاري قد أُوتي من الله ذكاء عظيمًا، فقد يكون أذكى الناس بعد جيل الصحابة، ومن تتبع طريقته في ترتيب الأبواب سواءً كان في الصحيح أو في الأدب المفرد لا بد أن يسلم أنه من أذكى الناس بعد الجيل الأول، عبقري في كونه كأنه يضع خيط ويعلق عليه الأمور، بحيث أنك لو سرت معه تجد أن الأمور تترتب بعضها فوق بعض، كأنه يعليك في درجات الأدب من الأساس إلى ما بعده بحيث أنك لا تقفز.

وأعظم الأدب: بر الولادين لذا استفتح كتابه بذلك، إذا سمعت قوله تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} (الأسراء: ٢٣) ونحن نتكلم في الأدب، أول ما تفعله بعد أن تكون موحدًا، ستبرّ الوالدين ومن ثم صلة الأرحام ويتوسع في ذلك، ويأتي في الوسط موضوع بالمناسبة مثل: الموالي، الكلام عن الموالي له صلة بمسألة صلة الأرحام!

ففي صلة الأرحام تفرعنا وقلنا: إننا يجب أن نتعلم أنسابنا بما يسهل علينا معرفة أرحامنا لأن هذا واجب علينا أن نقوم به، وهناك موضوع متصل بهذا الواجب الذي علينا القيام به وهو: مسألة نسبة الموالي، فهل في الاعتراف بأنه مولى تفاخر؟ أتى الباب الذي يليه أنه لا تفاخر وبدأ يقول لنا من صلة الأرحام، لكن من الأعلى إلى الأدنى، هذه الإعالة، فكل ذكي سيرى عبقرية البخاري، لكن هناك أغبياء على مستوى العالم الإسلامي يهاجمون هذا الرجل وفي هذا دليل واضح على أن الله رفعه، فلو لم يرفعه الله لما كان له أعداء وهذه سنة الله، هذا ليس تعصبًا للرجل فهو ليس عربي، هو عربي من جهة لغته، فمن أجاد العربية كان عربيًا، لكن ليس من جهة نسبه -وإن كان- وهذا موضوع يحتاج إلى بحث، أنساب هؤلاء تعود إلى أنها عربية، وإن شاء الله نقرأ سويًا كتاب في هذا ونفرح أنهم عرب لمعرفتنا أن العرب الذين حملوا الرسالة كثر.

٤١- بَابُ مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ أَوْ وَاحِدَةً

٧٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابن يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ ابن عِمْرَانَ؛ أَبُو حَفْصٍ التُّجِيبِيُّ، عَنْ أَبِي عُشَّانَةَ الْمَعَافِرِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ ابن عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاَثُ بَنَاتٍ، وَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ).

٧٧- حَدَّثَنَا الْفَضْلُ ابن دُكَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا فِطْرٌ، عَنْ شُرَحْبِيلَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُدْرِكُهُ ابْنَتَانِ، فَيُحْسِنُ صُحْبَتَهُمَا، إِلَّا أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ).

٧٨- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ ابن زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ ابن زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابن الْمُنْكَدِرِ، أَنَّ جَابِرَ ابن عَبْدِ اللهِ حَدَّثَهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: (مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاَثُ بَنَاتٍ، يُؤْوِيهِنَّ، وَيَكْفِيهِنَّ، وَيَرْحَمُهُنَّ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ). فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ: وَثِنْتَيْنِ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (وَثِنْتَيْنِ).

هذه الأحاديث عن البنات، والباب التالي:

٤٢- بَابُ مَنْ عَالَ ثَلاَثَ أَخَوَاتٍ

٧٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ابن عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ ابن مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلِ ابن أَبِي صَالِحٍ، عَنْ سَعِيدِ ابن عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابن مُكْمِلٍ، عَنْ أَيُّوبَ ابن بَشِيرٍ الْمُعَاوِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (لاَ يَكُونُ لأَحَدٍ ثَلاَثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلاَثُ أَخَوَاتٍ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

هنا أتت الأخوات، بناته أو من هن في حكم بناته، ولو كانوا يتامى سيجتمع أنهن بناته ويتامى.

بنات إخوته في حكم بناته أو أعلى من ذلك يكن في حكم أخواته، المقصد كفالة البنات عمومًا كانوا بناتًا له أو أيتامًا لأرحامه أو أخواته، ما معنى كفالتهم؟ سنرى في الأحاديث كيف تكون الكفالة، نبدأ بالحديث (٧٦) (وَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ) هذا أول الأمر، لماذا صبر عليهنّ؟ لأن البنات يُرجى منهنّ أجر الآخرة، لكن في الدنيا لهم متطلبات وأحوال، والنفس لا تحب كثرة الطلبات، فهي تؤذي النفس، فيمدح من تحلى بالصبر عليهم وعلى تربيتهنّ وقام بحقوقهنّ وأنفق عليهنّ وأدبهنّ بأدب الإسلام، ومن صبر على تعليمهنّ ما لا بد له من أمور الدين، ويمدح على إطعامه وسقيته وكسوته من جدته، من غناه ومن كسبه على قدر سعته واستطاعته، هو يؤجر أجرًا خاصًا

عندما يلبس ويطعم ويسقي البنات أجرًا خاصًا أعلى من الأولاد؛ لأن النفس بطبيعتها تميل إلى الأولاد فتأتي الشريعة تُبطل بقايا عادات الجاهلية المنكرة، يراد اجتثاث هذا من النفس، هذه الطبيعة موجودة في نفوس الرجال وفي نفوس النساء أيضًا فحتى الأم تفرح لو بُشرت بولد والأب كذلك لكن هذا الفرح والسرور للدنيا فتميل النفس لأن تطعمه وتسقيه، ليحصل توازن تأتي الشريعة وتقول: اللقمة واللبس للبنت خير منها للولد حتى تنظر للبنت على أنها موطن للأجر -سبحان الله- لتحصل حالة من التوازن بين الميل الفطري الطبيعي الموجود في الإنسان وبين ما حضت عليه الطبيعة فتسير البيوت، البنت أصلًا تُحبّب نفسها، ففيها من الحنان الخاص، وفي الصغر تكون أفصح من الولد لكن في سن البلوغ يكون هو أفصح منها، لكنها في البداية كلامها وتصرفاتها جميلة وتستطيع أن تعبر عن محبتها وتقبل على الأب بمشاعرها، فهي في الأصل تُحَب لكن النفرة تأتي من العادات ومن التفكير أن هذا ينفعنا، وكم من البنات نفعوا أهلهم أكثر من الأولاد، وهذه كلها أقدار وأرزاق، لكن المقصود أن هذا هو الوضع العام من بقايا الجاهلية، فأتت الشريعة لتجتث هذا من أصله وتخرجه من جذره ويبقى الجميع نعمة من رب العالمين، فتكون النتيجة أن الله يجعلهنّ وقاية لهذا من عذاب النار يوم القيامة فكم سيبذل هذا الأب وهذه الأم جهدهم في هؤلاء لتكون النتيجة أن يكنّ حجابًا لهم من النار -وقد تبين لنا فيما مضى- إن شاء الله الأمر داخل فيه الأبوين، وكما ذكر في الفوائد صاحب رش البرد قال:

فِقهُ الحديث:

١) فيه تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالبًا عن القيام بمصالح أنفسهن.

٢) فضل النفقة على البنات والبرّ بهن.

٣) عناية الأبوين بالبنات تربية وتهذيبًا سبب لدخول الجنة وعلو المنزلة فيها.

إن شاء الله يكون داخل فيها الأم والأب، ومثله الحديث الذي يليه، ما معنى أن يعولهنّ؟ أن يصبر عليهنّ ويكسوهنّ، وفي حديث ثانٍ: أطعمهنّ وسقاهنّ وكساهنّ، إذًا الصبر عليهنّ والقيام بحقوقهنّ، وفي الحديث (٧٧) ما من محسن تبلغ عنده ابنتان سن التكليف وقيل إنه البلوغ؛ لأن البنت حين تصل سن البلوغ كأنها تغفل عن الأب وتكتمل أنوثتها ويصبح ارتباطها بالأنثى التي مثلها، فما من مسلم تدركه ابنتين وصلن سن البلوغ، وربما حين تصل عند البلوغ يحصل ما بين الأب والبنت نوع جفوة نتيجة أنها بدأت تكتمل أنوثتها ويمكن أن تكون لها حاجات ورغبات تخالف ما يحب الأب، أو حتى تأمر الشريعة، عندما يكونون صغارًا -كما

تبين لنا فيما سبق- يكون هناك ميل عاطفي قوي، لكن عندما تكبر وتصل إلى البلوغ يمكن أن تحصل هذه الجفوة، الجفوة أتت من البنت نتيجة اكتمال أنوثتها وتصبح لها متطلبات صعبة في المرحلة التي نسميها - المراهقة- الشريعة تعالج هذا من جهة الأب، هذه الجفوة قد تسبب سوء المعاملة من الأب، فبينت الشريعة أن حسن المعاملة أعظم أجرًا فيحسن إليهما ما صحبتاه، مدة مصاحبتها له وبقائها عنده في عياله قبل أن تتزوج، وتحت نفقته، ويحسن إليهما فإذا فعل هذا أدخلتاه الجنة، في الحديث الأول: وهي صغيرة، وفي الحديث الثاني: عندما تبلغ.

والحديث الذي يليه فيه متطلبات:

- يعولهنّ سواءً كانوا صغارًا أو كبارًا فيحصل منه الإيواء، يوفر لهنّ مسكنًا مناسبًا بالمعروف، ولا يبخل عليهنّ في ذلك.

- يكفيهنّ فلا يجعلهنّ أقل من غيرهنّ الذين في مستواهنّ، وكل هذا بالمعروف.

سبحان الله كم هناك من أجور في مثل هذا؟! هنا نحن نتكلم عن المعروف الذي يختلف الشأن فيه لكل واحد، فقد يكون من المعروف أن يكسوهنّ ملابس ويكسوهنّ ذهبًا لأن بنات أعمامهنّ يكسين ذهبًا فلا يعطل الذهب من جيدهنّ، وهذا من إمكانياته فلا يكلف بما لا يستطيع، لكن بما عرف في مثل مستواه، لكن إذا كان مضيق عليه فينفق مما عنده لكن لا يقل: هذه الأمور ليست ضرورية! لأن كثير من الآباء يكون ربنا موسع عليه لكنه لا يرى هذا ضروري، وهنا يأتي دور الأم إن كان لها مورد مادي فتقوم بما تركه الأب وتبشر بأن الأجور لها، أما العناد الذي يحصل بين الأب والأم على الصرف على أولادهم ويذهب ضحيته مشاعر الأبناء فهذا ليس صحيح خصوصًا أننا نسمع أنه (قَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ) أجور عظيمة مرتبة، ولا أكثر من الجنة بشرى.

(وَيَرْحَمُهُنَّ) فلا يقول: أنا كفيتكم وألبستكم كأحسن الناس، لا بد من الرحمة والتحنن عليهنّ، هذه الرحمة في الأصل موجودة لكن الإنسان أحيانًا يتصور أن رحمته واصلة لأبنائه وهذا من الأخطاء فالأم والأب يجب أن يبرزوا رحمتهم بكل ما يستطيعون، بعض الآباء يخفي رحمته بشيء من الشدة لكثرة ما هو رحيم من أجل أن تحفظ له الهيبة وهؤلاء أجرهم على الله، فلو أبدى رحمته انفرط البنات لكن حين وحين، والبنات فيهم من الذكاء ما فيهم فيستغلوا الآباء والأمهات -الله يحفظ الأبناء والبنات والأحفاد جميعًا- هذه بشرى عظيمة، فمن فضل الله يكونون سببًا في دخوله الجنة مكافأة على إحسانه إليهنّ ورحمته بهنّ.

المراد بهذا أن أجر القيام على البنات أعظم منه على البنين لأنه ما ذكر في حق البنين مثلما ذكر في حق البنات، وهذا لا يعني إهمال الأبناء لكن النفس موجود فيها هذا الأمر، حضت الشريعة على البنات لأجل أن مؤونة البنات والاهتمام بأمورهنّ عند الله أعظم من أمور البنين لأنها عورات لو دخلوا على البيوت منهنّ فسدت بيوت المسلمين جميعًا؛ لذا يقال: لا بد أن تقدري أيتها المرأة شأنك ولا بد أن تعرفي أنك أساس كل صلاح وأن بناتك اللاتي تربيهنّ على الإيمان والتقوى أيضًا هنّ أساس كل صلاح، يبقى الكلام على الأخوات في لقائنا القادم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الثالث والعشرون

الأربعاء: ٦جماد الآخر ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن اغتنم الفرص واستفاد من حياته في أبواب الخير التي دلنا عليها هذا الشرع المطهر، والحمد لله أن جعل هذا الشرع المطهر، أبواب الخير قريبة من النفس، ما أن تحض الشريعة عليها إلا ويتيسر للنفس الإقبال على هذه الأعمال، ومنها ما ورد في باب: (مَنْ عَالَ ثَلاثَ أَخَوَاتٍ) فيه إشارة إلى العناية بالأخوات:

٤٢- بَابُ مَنْ عَالَ ثَلاَثَ أَخَوَاتٍ

٧٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ابن عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ ابن مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلِ ابن أَبِي صَالِحٍ، عَنْ سَعِيدِ ابن عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابن مُكْمِلٍ، عَنْ أَيُّوبَ ابن بَشِيرٍ الْمُعَاوِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (لاَ يَكُونُ لأَحَدٍ ثَلاَثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلاَثُ أَخَوَاتٍ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

فهمنا ثلاث بنات فيما مضى في اللّقاءات، والأخوات قد يكن كبارًا مثلما يحصل أن يكون الرجل قد تزوج من نساء متعددات فأنجب بنات ثم أنجب أبناء فيكون الأبناء أصغر بكثير من البنات، فيكون هو شاب في مقتبل العمر وتكون أخواته كبيرات لم يحصل لهن الزواج، فتكون هذه الثلاث أخوات غالبًا مصدر إزعاج لأن لهنّ طلبات وما لهنّ مصدر للرزق، أو عندهنّ مصدر للرزق لكن لا يوجد من يقضي لهنّ مصالحهنّ -وهذا كثير في مجتمعنا- قد تكون العلاقة مبنية على الاحترام لكن لا يوجد أكثر من ذلك، كأنهم غرباء، خصوصًا لو كانوا أخوة من أب أو أم، هذا يسبب الفرقة أكثر، هذا نوع خطير وكثير في مجتمعنا، وهناك النوع الثاني العكسي، يكون الأب متزوج وعنده أولاد كبار وبعد ذلك ينجب بناتًا صغارًا ويموت فيتركهم، هذه مسؤولية، وتكون لهم أم، فهي زوجة الأب، فيجد معاناة في الوصول لهم ورعايتهم، لكن لو أحسن إليهم كما في الحديث إلا دخل الجنة.

فأصبحت الجنة وراء هؤلاء الثلاث أخوات سواءً أكبر أو أصغر، أما لو كانوا أشقاؤه وهو استقل وهم ليس لهم راع، في هذه الأحوال كلها في الأصل ألا يكون لهم والد مسؤول عنهم، فهو يرعاهم، هذا أيضًا باب لدخول الجنة، أكبر منه أو أصغر منه أو أشقاؤه قريبين منهم لكن ليس لهم راع، وكل حالة لها صعوباتها، كثير من الأحيان الأخوات الكبار لا يحترمونه احترامًا كافيًا، لا يسمعون كلامه، أو لو عرفوا أنه يخدمهم لا يتركون له

جانب يرتاح فيه فيطلبوا منه، فيجرب معهم هذه الطريقة ثم يتركهم، أو لا يكون هو الأخ الوحيد فيقول: أنا لست الأخ الوحيد فهناك غيري، هذه كلها أمور تحصل ومن أراد الجنة يعرف طريقها، وما دامت الشريعة - الحمد لله- علمتنا هذه الطرق فليكن منا اهتمام بذلك.

ربما احتجّ البعض أن هذا الحديث فيه ضعف لكن له شواهد، وأكيد أن الرعاية للمرأة عمومًا، حتى لو لم تكن ذات رحم لها فضل في الدين، ولو قرأنا سورة النساء لتبيّن لنا، فكيف حين تكون قرابته أو أخته وهذه درجة عالية، فكل أمر له صعوبته. أحيانًا لا تكون هناك صعوبة عند الولد أو أخته لكن تأتي زوجة الولد وتكون شرًا علينا، وتكون بطبيعتها تغار فلا تريد الاهتمام بغيرها، أو بطبيعتها النفسية المعقدة يمكن بسهولة لو وجدت أن هذا الأخ يخدم أخواته بسهولة تطلق على الأخوات أنهنّ ساحرات ..!

من المؤسف جدًا أن مسلمة تعرف الله وتصلي له وتؤمن بالقضاء والقدر يهون عليها أن تتهم أخت زوجها بالسحر لأجل أمر ما هو إلا من وحي الشيطان، وقد مر علينا مواقف كثيرة متعددة وهي تتزايد، وأكثر ما يحزن أن تكون الشاكة في أخت زوجها الإنسانة المستقيمة القارئة لكتاب الله والمؤمنة بالقضاء والقدر! أتعرفين أن السحر كفر؟ أيهون عليك اتهام أختك المسلمة بالكفر؟ نعوذ بالله! وكيف إذا أهدتها هدية تقول: إن هذه الهدية مسحورة، بل يتعدى الأمر إلى الاتهام بأنها لم تسحرها وحدها بل بناتها وزوجها وأخواتها، وهذا كلام مؤسف وأعجب ما في الموضوع أنها تستشهد بالرؤى! تقول مثلا: أنها سحرتني بهديتها، فقد رأيت هذه الهدية بعينها في المنام، وقد يكون الشيطان عرف أنها أحضرت لها هدية فيخبر قرينها، بهذا تكلف نفسها دينها! حتى الأخوات يمكن أن يحصل منهم هذا، الأخوات يمكن أن يتهموا زوجة الأخ بهذا الأمر وهذا أصبح أسرع وأكثر الاتهامات تسويقًا والشيطان يسولّه لنا قبل أي مسألة لأجل أن يستهان بالشرك، ولأجل إفساد العلاقات.

وورد في الحديث أن الشيطان في عصر الصحابة الكرام يئس أن يعبد في جزيرة العرب فلم يبق له إلا التحريش، والآن عاد له الأمل، يعبد في جزيرة العرب ويستعمل التحريش، فيا لله ما أعظمها من تهمة، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيرًا من خلقه؛ لأن مجرد السماح للنفس بهذا التفكير لا يخلو أن يفتن الإنسان، ولا نبرئ أنفسنا فغدًا قد تتكالب عليك الأمور ولا تجد مخرجًا في التفسير إلا أنه وقع عليك السحر، وهذه هي الظنون الخطيرة التي يلعب بها الشيطان علينا -نعوذ بالله من الشيطان الرجيم- لو هذه زوجة الأخ والأخوات لا يحسن إليهم الزوج، أو إحسانه إليهم ضعيف فليكن منها إحسان باسمه، لو استطعت أن تتخطى الحواجز التي يضعها الشيطان بين الأهل والأقارب والأرحام ستكون محسنًا، وستكون ممن صفا قلبه فاستقام عمله، كما تستغفر للزوج اللهم اغفر له ارحمه واحفظه على الصراط المستقيم، فكما تدعين بلسانك هناك طريقة أخرى تفعلينها بالإحسان إلى الأخوات باسمه مثل حين تتصدق عن ميت، أنت الآن تقرب الأخوات خصوصًا

عندما تكون نفسك غير راغبة فتؤدبها، فتجد أول آثار إرغام النفس على الإصلاح: الثبات على الصراط المستقيم.

ما أطيب الشريعة فتحت أبوابًا للخلق والحمد لله على ما هو حاصل، نسأل الله أن يكشف عنّا الغمة في هذا الباب وغيره من الأبواب، لكن لا تسألوا: لماذا البلايا متتالية علينا بعد أن {تُفْسِدُوا فِي الارْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (محمد: ٢٢)؟ هذا هو ما نحن فيه، فأين الرحمة التي تنزل على الأمة، ودائمًا عندما نعد المنكرات نعدد أمورًا خارج عن أيدينا إصلاحها ولا ننظر هل نصل رحمنا ونبلها ببلالها ونبذل جهدنا في الدعاء أن نكون ممن وصل الرحم؟ ونتكلم عن منكرات بعيدة! ولا نبدأ بأول منكر وأعظمه والذي أتى في الآيات بوضوح أنه من أعظم أنواع الفساد في الأرض، لا تتكلم عن أرحام بعيدة لا تستطيع أن تصلها بل تكلم عن أرحام قريبة تستطيع وصلها، وافعل ما تستطيع وربنا ييسر لك ما لا تستطيع، تخطِّ المشاكل والأحقاد القديمة وما هو موجود بين العوائل وشب نار فيما مضى، لا علاقة لك بما مضى، واجعل ما هو قادم على ما تستطيع منه الوصل، واليوم الوصل -الحمد لله- على أيسر ما يكون فلا أعذار للناس، وإن كانوا يؤذونك فكأنك تسفّهم الملّ، لكن بقدرتنا نحن لا نستطيع، ما لنا إلا أن نطلب رب العالمين أن يعيننا على الوصل، وأن يجعلنا واصلي الأرحام ونبلها ببلالها، ونفعل ما يمكننا ربنا منه، وهو اختبار عظيم على الحقيقة لكن قلّ من يتنبه له.

انتهينا من هذا الباب وننتقل للباب الثالث والأربعون:

٤٣- بَابُ فَضْلِ مَنْ عَالَ ابْنَتَهُ الْمَرْدُودَةَ

٨٠- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابن صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى ابن عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ لِسُرَاقَةَ ابن جُعْشُمٍ: (أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَعْظَمِ الصَّدَقَةِ، أَوْ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَةِ؟) قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: (ابْنَتُكَ مَرْدُودَةٌ إِلَيْكَ، لَيْسَ لَهَا كَاسِبٌ غَيْرُكَ).

هنا الحديث أيضًا فيه كلام عن الابنة لكن بوصف آخر، نرى معنى مردودة إليك:

شرحُ الكلمات:

- مردودة: بالنصب على كونها حالًا، أي حال كونها مردودة إليك بأن طلقها زوجها مثلًا.

معنى ذلك أن هذه الابنة كنت قد رعيتها واهتممت بها وفعلت ما تستطيع معها ثم تزوجت ثم حصل أنها لم توفق في هذا الزواج، عدم توفيقها قدر من الله، عندما تعود تصبح هذه مثل العالة على والدها، بمعنى أنه قد ارتاح من الكسب لها بل ولما زوجها بذل كل جهوده في تزويجها وهي في حالة طيبة ثم تطلق أو تترمل، وهذا أمر خارج عن إرادتها، وربما أتى معها أبناؤها، فهي مردودة إليك ليس لها كاسب غيرك، ويمكن أن الرجل لا ينفق عليها إذا كانت مطلقة أو أرملة ليس لها مصدر مال.

هذا أحد أهم أسباب الضيق عند الآباء عندما تعود لهم البنت مطلقة أو أرملة حال متعسرة، تحتاج إلى نفقة غير الرعاية النفسية لها، لكن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- جعلها من أعظم الصدقة أن تنفق على ابنتك المردودة، وستكون مختلفة عن تلك الأحاديث، معنى ذلك: أن البنت في كل حالها خير وبركة على والدها، باب للجنة ومن أعظم الصدقة، كأنه يقال: لا تتصدق إلا على هذه المطلقة والأرملة، ونطمع أن يكون أجر هذا لكل من ترد عليه وتعود للدخول في مسؤوليته، قد أكون غنية وأختي ردت علينا وأخي لا يقدر على الإنفاق، إن شاء الله نكون ممن أنفق وتكون أفضل الصدقة.

٨١- حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُوسَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ سُرَاقَةَ ابن جُعْشُمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (يَا سُرَاقَةُ...) مِثْلَهُ.

فِقهُ الحديثين:

١) الحض على الصدقة على البنت المطلقة المردودة إلى بيت أبيها والمعاملة الحسنة معها.

٨٢- حَدَّثَنَا حَيْوَةُ ابن شُرَيْحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، عَنْ بَحِيرٍ، عَنْ خَالِدٍ، عَنِ الْمِقْدَامِ ابن مَعْدِي كَرِبَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ).

شرحُ الكلمات:

- ولدك: الإبنة المردودة داخلة في عموم الولد.

هذا الحديث من باب التأييد للحديث السابق في كون أنه بيّن أن الابنة المردودة خير صدقة عليها، والحديث فيه ضعف فأتى بهذا الحديث الصريح لأجل التعميم في أن كل إطعام لنفسك ولولدك ولزوجك ولخادمك ولكل من في دارك إنما هو من باب الصدقة التي يثاب عليها الإنسان، فأورد هذا الحديث من باب التأكيد على الحديث السابق الذي فيه ضعف لكن هذا الحديث يؤيده.

فقه الحديث:

١) إن الإنسان يثاب على النفقة الواجبة عليه كثواب الصدقة لأنه ينوي بها التقرب إلى الله وامتثال أمره.

٢) يجب على الإنسان الإنفاق على زوجته وأولاده ومملوكه وغيرهم الذين تجب عليه نفقتهم.

مع أنها تجب نفقتهم لكن يثاب عليها ثواب الصدقة، وإذا أتته بنته المردودة فلا يغتمّ، ستأتي برزقها وأيضًا النفقة عليها من خير النفقات.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الرابع والعشرون

الأحد: ١٨ جماد الآخر ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن اتبع سنّة رسوله الكريم فوصل إلى ربه بقلب سليم اللهم آمين.

كنا قد بلغنا في قراءتنا لكتاب: (رَشْ البَرَد) تعليقًا على كتاب: (الادَب المُفرَد) إلى الباب الرابع والأربعون:

٤٤- بَابُ مَنْ كَرِهَ أَنْ يَتَمَنَّى مَوْتَ الْبَنَاتِ

٨٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابن أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عُثْمَانَ ابن الْحَارِثِ أَبِي الرَّوَّاعِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَهُ، وَلَهُ بَنَاتٌ فَتَمَنَّى مَوْتَهُنَّ، فَغَضِبَ ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ: (أَنْتَ تَرْزُقُهُنَّ؟!).

فِقهُ الأثر:

١) لا يجوز أن يتمنى الإنسان موت بناته.

٢) لا بدَّ أن يعتقد الإنسان أن الله هو الرزَّاق يرزق من يشاء بغير حساب حتى يكمل إيمانه.

٣) إن البنات تفتح بِهِنَّ أبواب الخير والبركة.

هذا الأثر عن ابن عمر يتبع ما أورده البخاري -رحمه الله- في الكلام عن فضل إعالة البنات ومن ذلك فضل إعالة البنت المردودة من بيت زوجها إما مطلقة أو أرملة، فضل إعالة الأخوات الثلاث أو البنات الاثنتين أو الثلاث، أتى في هذا الأثر بيان شيء من الاعتقادات التي تسبب ثقل إعالة البنات، وهذا الشيء الشعور أنهنّ لا يحصلنّ رزقًا أو أنهنّ يطلبن أن ينفق عليهنّ وليس هنّ المنفقات، لما أتت الشريعة الإسلامية وحتى لو للزوجة رزقها الخاص من مال أو ميراث وغيره أوجبت على الرجل أن ينفق على زوجاته حتى لو كان لهنّ مال خاص.

مسألة الأرزاق تشكل في قلوب الناس من جهة رعاية البنات، هذا الموقف كان بين ابن عمر وبين رجل له بنات، فالظاهر أنه تكلم بكلام فيه دليل على أنه يتمنى أن يمُتن، ليرتاح منهنّ ومن الإنفاق عليهنّ، ابن عمر -رضي الله عنه- شخّص المشكلة وهي: ضعف الإيمان بالله الرزاق.

ونلاحظ أن الرزاق من أسماء الله وهو من صيغ المبالغة في كلام الناس وفي حق الله هو صفة مشبهة، ثابتة لرب العالمين، فهو -سبحانه وتعالى- الرازق الرزاق وفعله أنه يرزق، والرزق هو ما ينتفع به الخلق، فالله الرزاق عطاؤه متجدد ويأخذ العبد رزقه الذي كتبه له ربه في كل يوم، بالتقدير اليومي، ويكون قد كُتب له بالتقدير السنوي، ويكون قد سبق هذا كله في التقدير العمري حين تكتب الملائكة له وهو في بطن أمه ما قُسم له في التقدير الأزلي عند رب العالمين فسبحان ربنا العظيم!

كيف يغيب عن المؤمنين الإيمان بهذا الاسم العظيم! فالله هو الرزاق -سبحانه وتعالى- عندما يكتب لأحد رزق يتولى هو بعظمته وجلاله إيصال هذا الرزق المقسوم لصاحبه فيخرجه له من السماوات ومن الأرض، فهو -سبحانه وتعالى- يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون، فالرزق مكتوب في السماء وهو وعد الله وحكمه في القضاء قبل أن يكون واقعًا مقدورًا في الأرض، فلا ينازع رب العالمين: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (الذاريات: ٢٢) وهو -سبحانه وتعالى- الذي يوصل لكل منا رزقه، لست أنت فقط الذي يوصل لك رزقك: {وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} (العنكبوت: ٦٠) هي لا تحمل رزقها ولا تتحمل أن تأتي برزقها حتى: {اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} هذه آية العنكبوت، وفي هود: {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الارْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} (الآية: ٦) فالله يتولاها لحظة بلحظة، وهذا من آثار اسم القيوم أنه قائم على خلقه لحظة بلحظة، يعطيهم المقسوم في سابق تقديره -سبحانه وتعالى- آمنا بالله.

فالله الرزاق هو الذي يتولى إيصال الرزق للخلائق، والله الرزاق هو المفيض بالأرزاق رزقًا بعد رزق، والله الرزاق هو الذي يرتب أسباب الرزق في المخلوقات؛ ولذلك يجد الخلق أمورًا عجيبة من رزقه -سبحانه وتعالى- فمثلًا: -هذا كلام منقول عن بعض من تكلم في هذه المسألة- تجد الذئب قد جعل الله رزقه أن يصيد الثعلب فيأكله، والثعلب رزقة أن يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ رزقه أن يصيد الأفعى فيأكلها، والأفعى رزقها أن تصيد الطير فتأكله، والطير رزقه أن يصيد الجراد فيأكله -سبحان ربنا العظيم- وهكذا تتسلسل أسباب الأرزاق، فالناس لا ينظرون لله الرزاق إنما يقف شأنهم عند نفس الأسباب التي جعلها الله رزقًا لنا.

سبحان ربنا العظيم، تبارك الذي أتقن كل شيء وجعل رزق الخلائق عليه، ضمن رزقهم وسيعطيهم ما وعدهم؛ لذلك الواجب أن يطلب الرزق عند رب العالمين: {فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ} (العنكبوت: ١٧) لا بد أن يركنوا إليه ويعبدوه وحده لا شريك له سبحانه وتعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (الذاريات: ٥٦-٥٨) فالأرزاق مقسومة، سواءً كانت ابنة أو ابن، ذكر أو أنثى ولن يعجل الله شيئًا قبل وقت حلّه، ولن يؤخر الله شيئًا عن الوقت الذي قضاه ولن يحبس الله شيئًا عن الذكر ولا عن الأنثى.

لذا أعجب ما يقال في هذا الأمر الموقف الذي حصل بين أم حبيبة زوج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- وأم حبيبة هي ابنة أبو سفيان وأخت معاوية ابن أبي سفيان -رضي الله عنهما- دعت في ذات يوم وهذه الدعوة كانت ربما من الشعور أنها زوج للنبي وأنها أخت لمعاوية وأنها ابنة لأبي سفيان، وهذا يأتي بشعور السعادة كونها مرتفعة بهذا النسب وهذه العلاقات فقالت: (اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بزَوْجِي رَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ) يعني هي تريد طول العمر وعيش رغد، فقال لها النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (قدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ(كل شيء مقسوم، (لَنْ يُعَجِّلَ شيئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شيئًا عن حِلِّهِ، ولو كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِن عَذَابٍ في النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ في القَبْرِ، كانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ)[1] هل هذا معناه أن لا أدعو أن يبارك الله في أرزاقي ويوسع فيها؟ ليس هذا المقصود! المقصود أن يكون الإنسان مشتغلًا بشأن الآخرة أما أرزاقه في الدنيا فلا بد أن يكون على يقين أن هذه الأرزاق محتومة لا يمكن أن تتغير؛ لذلك الذي يطلب من ربنا رزق في دنياه فليطلب البركة فيه، فالرزق نفسه مقسوم لا تغيير فيه، لكن المشكلة أن الإنسان لا يدري ما الرزق الذي يبارك له فيه والرزق الذي لا يبارك له فيه؛ لذا يقول الله عزّ وجلّ: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} (الطلاق: ٢-٣) فهذا بيان أن الذي قدره من الرزق على الخلق على العموم والإجمال سيتولى الله إيصاله في الخلق، فلا البنت ولا الولد سيكون هناك فرق في أرزاقهم عند رب العالمين.

فالرزاق -سبحانه وتعالى- هو الذي يرزق الخلائق أجمعين، وهو الذي قدر أرزاقهم قبل خلق العالمين، وهو الذي تكفل باستكمالها ولو بعد حين، فلن تموت نفس إلا باستكمال رزقها كما أخبرنا الرسول الكريم في الحديث، النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (هذا رسولُ ربِّ العالمِينَ ؛جبريلُ نَفَثَ في رُوعِي : إنَّه لا تَموتُ نفسٌ حتى تستكمِلَ رِزْقَهَا وإنْ أبطأَ عليهَا ، فاتَّقُوا اللهَ ؛ وأجْمِلُوا في الطَّلَبِ ، ولا يحْمِلَنَّكم اسْتِبْطاءُ الرِّزقِ أن تَأخذُوهُ بِمعصيةِ اللهِ ، فإنَّ اللهَ لا يُنالُ ما عِندَه إلا بِطاعتِه.)[2] هذا هو الشيء الخطير، الرزق مكتوب لك فإما أن تصبر ويأتيك من الطريق الحلال أو لا تصبر ويأتيك من الطريق الحرام (فإنَّ اللهَ لا يُنالُ ما عِندَه إلا بِطاعتِه). ولذلك من أعجب ما نقرأ في هذا مطلع سورة فاطر التي فيها الكلام عن الخبر عن الملائكة العظام وعن خلقة الله -عزّ وجلّ- لهم، إلى أن نصل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالارْضِ} سبحان الله لا يوجد غير الله يرزقكم من السماء والأرض، وهو الذي يرزق الإنسان في الدنيا ويرزقه في الآخرة، فنحن على يقين أن ربنا خير الرازقين وأن ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، وأن الله هو المتفرد وحده لا شريك له بالرزق، كما سمعنا: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالارْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٣).

(٢) حسنه الألباني.

هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ} (فاطر: ٣) فإذا كان الأمر بهذه الصورة فلا يظن أحد أن البنت رزقها أقل من الولد أو الولد أكثر من البنت، فكل هذا من الباطل.

لذلك -كما في الأثر- أن ابن عمر غضب لما ظهرت من الرجل هذه العقيدة وتمنى موت بناته، فقال له: (أَنْتَ تَرْزُقُهُنَّ؟!). لأن هذه الأمنية لا تأتي إلا حين يثقل عليه هم الرزق، فكما قال في فقه الأثر:

٢) لا بد أن يعتقد الإنسان أن الله هو الرزاق يرزق من يشاء بغير حساب حتى يكمل إيمانه.

وخلاف ذلك هذا ضعف في الإيمان، فحين نجد هذا الضعف في نفسنا لا بد من أن ندعو ربنا أن يكشف عن نفوسنا غمّة الدنيا، لا بد أن نطلب من ربنا أن يكشف عنا غمّة الشيطان الذي يثقل على قلوبنا فيصيبها بالوساوس والمخاوف، فيصبح الإنسان خائفًا على شيء مقسوم، مكتوب، مفروغ منه قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف عام.

صاحب رش البرد يقول:

٣) إن البنات تفتح بهنَّ أبواب الخير والبركة.

والسبب ما مضى من الكلام في كون الله -عزّ وجلّ- يرزق الضعفاء، فالبنت في موقف ضعف فهي أقرب للرزق، ويرزق بسببها الإنسان، فالإنسان يرزق بالضعفاء الذين حوله؛ لذا نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يوسع في أرزاقنا وأن يجعل في أرزاقنا أرزاقًا للضعفاء لتزيد بركة الإنسان وسعادته، فإن الإنسان الذي يعيش لنفسه لا يجد من السعادة ما يجد من يعطي ويكرم خلق الله من رزق الله.

نسأل الله أن يجعلنا سببًا للتوسيع على كل محتاج وأن يجعل الإنفاق في سبيله سببًا لرفعتنا عنده -اللهم آمين- كان هذا الحديث مدخلًا للكلام عن هذا الاسم العظيم من أسماء الله -سبحانه تعالى- وهي فرصة أن نجدد إيماننا بأسمائه سبحانه وتعالى.

٤٥- بَابُ الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ

٨٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابن صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا: (اللَّهِ مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ رَجُلٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عُمَرَ، فَلَمَّا خَرَجَ رَجَعَ فَقَالَ: كَيْفَ حَلَفْتُ أَيْ بُنَيَّةُ؟ فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: أَعَزُّ عَلَيَّ، وَالْوَلَدُ أَلْوَطُ).

شرحُ الكلمات:

- المبخلة: ما يحمل على البخل.
- المجبنة: ما يحمل على الجُبن.
- - فقلت له: أي: الذي قاله.
- ألْوط: أي: ألصق بالقلب.

فِقهُ الأثر:

١) إن الولد ثمرة الفؤاد وفلذةُ الكبد لأن الثمرة ما تنتجه الشجرة والولد ينتجه الأب.

٢) شدة حب أبي بكر لعمر رضي الله عنهما.

٨٥- حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ ابن مَيْمُونٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا ابْنَ عُمَرَ إِذْ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبَعُوضَةِ؟ فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبَعُوضَةِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (هُمَا رَيْحَانَيَّ مِنَ الدُّنْيَا).

شرحُ الكلمات:

- هما: أي: سيدانا الحسن والحسين.
- ريحان: كل ما طاب من النبات، والمعنى أنهما مما كرمني الله وحباني به؛ لأن الأولاد يُشَمَّون ويُقَبَّلون، فكأنهم من جملة الرياحين. والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان يشم الحسن والحسين ويضمهما ويُقَبِّلهما.

فِقهُ الحديث:

١) يجب تقديم ما هو أوكد على المرء من أمور دينه؛ لأنكار ابن عمر على السائل العراقي عن دم البعوض، وقد فرَّط أهل العراق فيما هو أجلُّ وأعظم منه، وهو الحسين ابن علي الذي قتلوه ظلمًا وطغيانًا.

٢) فيه إيماء إلى جفاء أهل العراق وغلبة الجهل عليهم بالنسبة لأهل الحجاز.

٣) تخصيص الحسين بالذكر لعظم قدره ومكانته من النبي صلّى الله عليه وسلّم.

في الحديثين الذين وردا تحت عنوان: (الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ) هذا العنوان جزء من حديث صحيح، وفيه أن الحسن والحسين جاءا يسعيان إلى الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده في رقبته ثم ضمه -صلّى الله عليه وسلّم- إلى إبطه ثم قبّل هذا ثم قبّل هذا وقال: (اللهم إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهما)[١] ثم قال: (أيُّها الناسُ، إنَّ الوَلَدَ مَبخَلةٌ، مَجبَنةٌ)[٢] وفي رواية: (إنَّ الوَلَدَ مَبخَلةٌ، مَجبَنةٌ، مَجهَلةٌ) فالظاهر أن البخاري أشار بالعنوان لما هو معروف من هذا الحديث الذي فيه الحسن والحسين كما يأتي في الحديث الثاني لابن عمر لما أتى أهل العراق يسألونه عن دم البعوضة فقال: ممن أنتم؟ قالوا: من أهل العراق، فقال: (انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبَعُوضَةِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم)، قتلوه لما تخلّوا عنه، حرّضوه لأجل أن يخرج فلما خرج تخلّوا عنه، فكانوا سببًا في قتله، فيقول ابن عمر: إني سمعت النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: (هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا) فكأن البخاري يشير إلى الحديث الآخرة أنهما جاءا يسعيان فضمهما إليه وقال: (إنَّ الولدَ مَبخلَةٌ مجبَنَةٌ) نركز في الحديث (٨٥) ثم نعود للحديث (٨٤) ..

هذا الرجل من أهل العراق سأل عن جواز قتل بعوض أو غيره وهو مُحرِم، فابن عمر أجاب مستغربًا من حرص أهل العراق على السؤال عن الشيء اليسير وتفريطهم في الشيء الجليل، يسألون عن البعوضة وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ارتكبوا الموبقات وتجرؤوا على قتل حفيد رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ثم بعد ذلك يظهرون كمال التقوى والورع في نسكهم! هذا من التناقض، فأورد ابن عمر أنه سمع عن مكانة الحسن والحسين أن الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا) وشبههما الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- بكونهما (ريحان) لأن الولد يشم ويقبل -كما ذكر صاحب الشرح- فهو كأنه من جملة الرياحين، والريحان هو: كل شيء عطري من النبات، هذا دليل على أن الولد يدخل السرور على الإنسان فهو من نعمة الله -عزّ وجلّ- فالمعاملة مع الأبناء لا بد أن تكون مبنية على هذه العقيدة التي هي معرفة أن الأبناء نعمة من الله، وأنهما سبب لدخول السرور على الإنسان ومع ذلك فليحذر الإنسان لأن الولد (مبخلة(

(١) صححه البخاري (٣٧٤٧).

(٢) صححه الحاكم.

بمعنى: يحمل الإنسان على البخل فيقول: سأترك لأولادي، و(مجبنة) لأنه يصبح قليل الشجاعة لتفكيره في هؤلاء الأبناء.

فالواجب علينا اليقين برزق رب العالمين وأنه الرزاق الكريم وأن كل شأن قد قدر فلا نخشى أبدًا من الفقر، الأبناء نعمة من الله فعليك شكر هذه النعمة بطاعة الله فيهم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الخامس والعشرون

الثلاثاء: ٢٠ جماد الآخر ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان والتقوى الذين يعرفون رب العالمين حق المعرفة، فيكون أثر ذلك استقامة في سلوكهم ورغبة فيما عند ربهم اللهم آمين.

كنا قد توقفنا عند الباب الخامس والأربعون ...

٤٥- بَابُ الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ

٨٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابن صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا: (وَاللَّهِ مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ رَجُلٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عُمَرَ، فَلَمَّا خَرَجَ رَجَعَ فَقَالَ: كَيْفَ حَلَفْتُ أَيْ بُنَيَّةُ؟ فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: أَعَزُّ عَلَيَّ، وَالْوَلَدُ أَلْوَطُ).

هنا سنقف وقفتين إحداهما فيما يتصل باسم الباب والثانية فيما يتصل بالحديث، في اللّقاء الماضي تبين لنا أن البخاري أشار لاسم الباب هذا بمناسبة الكلام عن الحسن والحسين في الحديث الذي يليه، نرتب أفكارنا ونبدأ أولا باسم الباب:

هذه الجملة (الولدَ مَبخلَةٌ مجبَنَةٌ) حديث صحيح فيه أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أقبل عليه الحسن فقبله ثم أقبل عليه الحسين فقبله ثم قال: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهما وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا) ثم قال: (إنَّ الولدَ مَبخلَةٌ مجبَنَةٌ مجهلَةٌ محزَنَةٌ) وفي هذا الحديث بيان لما طُبع عليه الوالدان مع الولد، وهنا يؤكد أنه ذكر كان أو أنثى. وأيضًا في الحديث بيان لما تجلبه محبة الوالدين للولد، الإنسان يحب أولاده وحبه لأولاده قد يسبب له أن يصبح بخيلًا وجبانًا ويدخل عليه الأحزان، وهذا ليس من باب القبول لهذه الصفات والاستسلام لها بل لنجاهدها ونحاسب أنفسنا على ذلك.

وهذا الحديث الذي فيه (إنَّ الولدَ مَبخلَةٌ مجبَنَةٌ) يشبه حديثًا آخر فيه: روى بريدة ابن الحصين -رضي الله عنه- (خطبنا الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- فأقبل الحسن والحسين) -رضي الله عنهما- الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- على المنبر وأقبل الحسن والحسين.

(عليهما قميصان أحمران) -رضي الله عنهما- يعني ازدادوا جمالًا بالقميص الأحمر، والظاهر أن هذا القميص فيه طول فيعثران ويقومان، أو كانت بداية قوتهما للمشي -سبحان الله- وفعل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- معهما يدلنا على أنه نموذج للإنسانية، والأمهات سيفهمنّ هذه المشاعر.

(فنزل فأخذهما فصعد بهما) كان يخطب فيهم، وهذه ليست خطبة جمعة إنما حديث يحدث النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أصحابه به لكنه على المنبر، ثم صعد وقال: (صدقَ اللهُ: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}) وقال -صلّى الله عليه وسلّم-: (رأيتُ هذينِ فلمْ أصبرْ)[1] رأى أحفاده فما صبر عن أن ينزل ليأخذهما، هذا الحديث أيضًا يشبه هذا.

(مجبنة) يعني: مدعاة للجبن، حب الوالدين لأولادهم يصد الوالدين عن مواطن الشجاعة مثل الجهاد والهجرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة أو كل شيء فيه مظنّة الأذى، بل إن الناس الآن يفرّون من الأوامر الشرعية خوفًا على أبنائهم، وهذا الخوف على الأبناء إنما يلقيه الشيطان في قلب الوالد ليصده عن الخير. فما الواجب ..؟

أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ونقف مع أوامر الله ونعلم أننا لن نضيع، ممكن أن يدخل الوالد في الربا خوفًا على أولاده من أن يتشردوا ولا يجدوا لهم بيتًا وهذا يأخذه وهذا يأخذه، أو يمكن أن يمنع إخوته من الميراث خوفًا من أن يضيع هؤلاء، فكل هذا مجبنة.

ومثلها (مبخلة): فالولد سبب لبخل الوالد؛ لأنه يوفر المال من أجل ولده فلا يفي بحقوق الله أو بحقوق الناس أو صلة الأرحام، ويكنز له المال ليوفر له الحياة الكريمة -في نظره- هذا كله بسبب الابن، إذا كان البخل في أمر واجب فالإثم والحساب على الأب، وإن كان في أمر مستحب يكون أضاع على نفسه أمور عظيمة.

وأيضًا في الحديث هم (مجهلة) أي: سبب لوقوع الوالد في الجهل، لو اعتبرنا الجهل ضد العلم لأنه سيكون كثير الانشغال بمتطلبات الحياة فلا يصبر على طلب العلم وتحصيله، ومن ثم لا يجد وقتًا ليتفرغ ويطلب العلم ويزكي نفسه، ومن المعلوم أن العلم الصحيح من أعظم الأسباب لتزكية النفوس؛ لذا كان من كلام عبد الله ابن المبارك -رضي الله عنه- (عجبت لمن يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة) لأن النفس لا تطلب مكرمة إلا إذا علمت خيرها، وممكن أن تكون (مجهلة) بمعنى: أن الإنسان لا يكون حليمًا فيجهل ويخاصم ويضارب أي أحد.

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٠٩)، حسّنه شعيب الارناؤوط.

وأيضًا هم (محزنة): بسبب ما يصيب الولد من أذى أو بسبب عجز الإنسان عن تقديم ما يحتاجه هذا الابن، فالوالدان يحصل لهما حزن، وأحيانًا يكون محزنة لأن هذا الابن عاق فيدخل الحزن على والديه، حزن الوالدين على الابن، وإن كان شيئًا جبليًا إلا أنه ينبغي أن يهذب بالشرع، فلا بد من الإيمان بالقضاء والقدر من أجل أن تخف على الإنسان هذه الأحزان، والإيمان باليوم الآخر أيضًا يهدئ النفس في مثل هذا، فيعلم الإنسان أن جنات النعيم هي مكان التقاء الأحباب في سلام وليست الدنيا.

إذا كان الولد مبخلة مجبنة فعلينا أن نردع أنفسنا عن كل تصرف بني على تقديم هواهم على مراد الله، وإذا اعتدنا المحاسبة سنجد أننا ضبطنا أنفسنا واستقمنا على أمر الله، وإذا حصلت هفوات فباب التوبة مفتوح -الحمد لله- لكن عدم المحاسبة وعدم مؤاخذة النفس يسبب التمادي في المخالفة ومن ثم تصبح الصغائر كبائر ولا يحصل رجوع ولا توبة، ومما يساعدنا على ذلك أن نعرف أن أبناءنا لن يعينونا إذا وقعت المعصية من أجلهم، بل ليُعلم أن الإنسان إذا عصى الله بسبب أبنائه هذا يسبب أن أبناءه يعقونه، هذا سبب للخذلان لأن الجزاء من جنس العمل، الله يعاقب عبده بما عصاه به وهذا أمر مشاهد ومعلوم لكن الله يعاملنا بعفوه.

هذا ليس شحن على الأبناء، الشريعة لا تصادم طباعنا ولا ما جُبلنا عليه، وحتى لو كان يوجد حظ نفس، فالشريعة لا تخاصمك فيه ولا تطلب منك أن تخرج عن طباعك ما لم تكن هناك معصية، بل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في الحديث لما جاء الأعرابي ورأى الصحابة يقبلون أبناءهم أخبر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن عنده عشرة من الأبناء لم يقبلهم، فقال له النبي -صلّى الله عليه وسلّم- : (أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)[1] معنى ذلك أننا لا بد أن نسير على الطريق السليم فلا تظن أن الشريعة تأمرك بأن تكون منزوع الرحمة، ليس هذا هو المقصود.

هذا كله في عنوان الباب ونأتي إلى الأثر الذي عن عائشة لما كان عندها والدها الكريم أبو بكر الصديق -رضي الله عنهما- يومًا، ويتحدث معها فقال لها مقسمًا: (وَاللَّهِ مَا عَلَى وَجْهِ الارْضِ رَجُلٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عُمَرَ) ويقصد بهذا بعد رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- والذي يظهر أن هذا إنما هو بعد موت النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وخرج من عند عائشة -رضي الله عنها- ثم الظاهر أنه فكر، هل هو صادق في قسمه أو ليس صادقًا!

خوفًا من أن يقسم على شيء ويكون في داخله أمر آخر وهذا أبو بكر -رضي الله عنه- الصديق! من قوة صدقه لا يريد أن يبالغ في مسألة، فإما أن تكون صحيحة أو ليست بهذه الصحة، عاد إلى عائشة وسألها: (كَيْفَ حَلَفْتُ أَيْ بُنَيَّةُ؟) يريد أن يراجع قوله فقالت له ما قال أن أحب ما على الأرض، في ذاك الوقت، له هو

(١) صححه الألباني.

عمر -رضي الله عنه- شعر أنه قال شيئًا يمكن أن يكون ليس الحقيقة كاملة فبين فقال: (أَعَزُّ عَلَيَّ) -كأنه تصحيح الجملة- كأنه جعل المعزة أمرًا آخر غير المحبة، وأنه له مكانة تخصه لا يشاركه فيها أحد، ثم قال: (وَالْوَلَدُ أَلْوَطُ) يعني: ألصق إلى قلب والده، فالولد يزاحم كل محبوب.

وبهذا يعلم أن الإنسان قد تكون له مشاعر تجاه فلان وفلان لما له من مكانة لكن لا أحد مثل الولد؛ لذلك في رواية أنه قال: (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، الْوَلَدُ أَلْوَطُ بِالْقَلْبِ، وَلَكِنَّ عُمَرَ أَعَزُّ الْخَلْقِ عَلَيَّ) ، هذه الرواية توضح أنه شعر كأنه قال شيء ليس صحيحًا، ربما يكون هذا دليل على شدة حب أبو بكر -رضي الله عنه- لعمر، فكأنه يقول الملتصق بالقلب هو الابن، وأعز الناس بعد الأبناء سيكون عمر، وهذا الكلام كله خلا الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- فإن أبو بكر -رضي الله عنه- نموذج على تقديم حب رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- حتى على حب النفس، وعمر مثله كما في الحديث المشهور.

ولاط به ويليط ويلوط بمعنى: يلتصق، تبين لنا هذا الأثر وفي فقه الأثر قال:

١) إن الولد ثمرة الفؤاد وفلذةُ الكبد لأن الثمرة ما تنتجه الشجرة والولد ينتجه الأب.

بهذا وافق اسم الباب لأن المحبة الشديدة للأبناء يمكن أن تأتي بالمبخلة والمجبنة، فعلينا أن نرعى بناتنا وأبناءنا لكن نحذر من أن يكونوا سببًا لمعصية الله والتوازن في كل شيء مطلوب.

٢) شدة حب أبي بكر لعمر رضي الله عنهما.

٨٥- حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ ابن مَيْمُونٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا ابْنَ عُمَرَ إِذْ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبَعُوضَةِ؟ فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبَعُوضَةِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم يَقُولُ: (هُمَا رَيْحَانَيَّ مِنَ الدُّنْيَا).

شرحُ الكلمات:

- هما: أي: سيدانا الحسن والحسين.

- ريحان: كل ما طاب من النبات، والمعنى أنهما مما كرمني الله وحباني به؛ لأن الأولاد يُشَمَّون ويُقَبَّلون، فكأنهم من جملة الرياحين. والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان يشم الحسن والحسين ويضمهما ويُقَبِّلهما.

فِقهُ الحديث:

١) يجب تقديم ما هو أوكد على المرء من أمور دينه؛ لإنكار ابن عمر على السائل العراقي عن دم البعوض، وقد فرَّط أهل العراق فيما هو أجلُّ وأعظم منه، وهو الحسين ابن علي الذي قتلوه ظلمًا وطغيانًا.

٢) فيه إيماء إلى جفاء أهل العراق وغلبة الجهل عليهم بالنسبة لأهل الحجاز.

٣) تخصيص الحسين بالذكر لعظم قدره ومكانته من النبي -صلّى الله عليه وسلّم-.

تبين لنا هذا الحديث، نبدأ الباب الذي يليه:

٤٦- بَابُ حَمْلِ الصَّبِيِّ عَلَى الْعَاتِقِ

٨٦- حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ ابن ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- وَالْحَسَنُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ عَلَى عَاتِقِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ، إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ).

شرحُ الكلمات:

- العاتق: ما بين المنكب والعنق.
- وهو يقول: جملة حالية.

فِقهُ الحديث:

١- فيه ملاطفة الصبيان والرحمة والرأفة بهم.

٢- طهارة رُطوبات وجه الصبي.

٣- فيه حث على حُب الحسن ابن علي وبيان فضله رضي الله عنهما.

هذا الحديث -رواه الشيخان- وفي لفظ مسلم: (خرجت مع رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى جاء سوق بني قينقاع ثم انصرف حتى أتى خباء وهو المخدع فقال: (أثمّ لكع؟ أثم لكع؟) -أي حسنا- فظننا أنما تحبسه أمه لان تغسله أو تلبسه سخابًا فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: (اللهم إني أحبه وأحب من يحبه) وفي رواية أخرى: (اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه)[1]، قال أبو هريرة -في رواية البخاري-: (فما كان أحد أحب إلي من الحسن ابن علي بعد ما قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ما قال).

النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يسأل عن الحسن ويريد أن يلاطفه، و(لكع): كلمة إذا قيلت للصغير فهي من باب الملاطفة وإن قيلت للكبير تعني: قلة العقل وقلة المكانة فيراد بها الذّم، وكانوا يظنون أن أمه فاطمة -رضي الله عنها- تريد أن تؤخره تريد أن تغسله وتلبسه سخبًا، وهي القلادة التي توضع على عنق الطفل فيها قرنفل أو عنبر يتعطرون بها.

ونحن نشهد الله على حبهما ونرجو أن يكون حبهما سبب لحب الله لنا، وهذا يشير إلى أمور كثيرة في سيرة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- منها:-

- تلطفه ومحبته للأطفال وملاعبته لهم، وفي الرواية المنقولة أن الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- حمل الحسن على عاتقه بين المنكب والعنق، فهذا من تلطفه ومحبته للأطفال وملاعبته لهم وتبسطه وإخباره -صلّى الله عليه وسلّم- عن حبه وأحاسيسه لأهل بيته، فلا حياء في هذا، فقد أخبر عن حبه -صلّى الله عليه وسلّم- لعائشة -رضي الله عنها- وأخبر عن حبه لفاطمة -رضي الله عنها- وأخبر عن حبه للحسن والحسين -رضي الله عنهما- فهذه كلها مشاعر يحملها الإنسان ولا يستحي منها أبدًا -سبحان الله-.

- وفيه فضل الحسن ابن علي -رضي الله عنه- وعن والديه، والحسين، وفي بعض الأحاديث قد ورد الخبر أنهم من أهل الجنة.

- وأيضًا في هذا الحديث قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (وأحبب من يحبه) فيه التعبد بمحبة آل بيت النبي -عليه الصلاة والسلام- على وجه الإجمال في كل زمان ومكان، وإكرامهم وإجلال قدرهم دون إفراط وغلو، فمحبة آل بيت النبي -صلّى الله عليه وسلّم- من أسباب جلب محبة الله للعبد لترتفع مكانة الرسول، فإن مَن أحبهم أحبه الله كدعاء النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وبمفهوم المخالفة من أبغض آل بيت النبي -صلّى الله عليه وسلّم- من أزواجه وذريته أبغضه الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٤).

- وهنا نحن نقف على نعمة الله بهؤلاء الأبناء وكيف أن المطلوب ملاطفة الصبيان والرأفة والرحمة بهم، فالصغار حقهم الملاطفة، وحقهم إظهار المحبة لهم؛ لأن من فوائد هذا الحديث: استحباب الإخبار عن محبتهم، وإذا عانقت أحد أبنائك فأنت تتبع سنة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في ذلك -والله المستعان-.

- لاحظنا أن فاطمة -رضي الله عنها- اهتمت بتنظيفهم وتعطيرهم وتزيينهم لتصبح رائحتهم جميلة فألبستهم هذا العقد، وفي هذا السن سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، الاهتمام بنظافتهم وتعطيرهم خصوصًا عند حضور الأهل والزوار، وهذا يسبب زيادة قبولهم عند الكبار، وأكيد أن قبولهم عند الكبار، وحين يقدر الكبير الصغير فهذا ينعكس على نفسية الطفل، احتفاء الكبار بالصغار يزيدهم فرحًا وسعادة -فسبحان الله- كم هذه الشريعة كاملة وكم رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- كان نموذجًا كاملًا لمن يربي!

- هذا الحديث فيه فوائد، من ذلك الدعاء للأطفال من الذرية العامة -كما مر معنا- إخبارهم أنهم محبوبون، دعاء الله أن يحبهم وأن يحبب الخلق فيهم كل هذا المفترض أن نفعله، فندعو ربنا أن يحب أبنائنا وأن يحبب الخلق فيهم.

- كما عرفنا أيضًا معانقة الأطفال، المعانقة تعطيهم الحب وتفعل لهم شيء آخر من التعويد على الرحمة والتودد وتسبب لهم الإحساس بالأمان والطمأنينة، وكل هذا يساهم في تنمية إنسان سوي.

وفيما يذكر في الوقت المعاصر أن الحرب العالمية الثانية أنتجت كمية من الأطفال الأيتام الذين لا راع لهم لا والد ولا والدة، أو مجموعة من الأيتام بلا والد فاضطرت الوالدة للخروج إلى العمل -فمن هنا عملوا أقسام رياض أطفال- من ليس لهم والد ولا والدة تمامًا واهتمت بهم دولهم وضعوهم عند حاضنات كانوا يأكلون ويشربون أحسن طعام ومع ذلك ما خرجوا أسوياء!

وفي الدراسات التالية تبين أن سبب عدم كونهم أسوياء أنهم ما وجدوا الأحضان -التقرير مكتوب بطريقة علمية لكن هذا ملخصه- أن هؤلاء الأطفال الذين كانوا ينامون على السرير ويعطونهم الرضاعة ويشربون ويأكلون ويكبرون ويتحركون بطريقة سليمة وتوفرت لهم كل الأسباب المادية لكن فقدوا الحضن؛ ففقدوا الاستواء النفسي -سبحان الله-!

ومن أجل هذا بالمناسبة تلام الأم التي أجرى الله في ثديها رزق لطفلها ثم لا تعطيه من ثديها وتستغني عنه بالرضاعة الصناعية، تلام لأسباب كثيرة ولكن هنا سنتكلم عن الاستواء النفسي، فإن الله قد خلق هذه الخلقة الدقيقة بحيث يكون ثدي المرأة هو مكان إرضاعه بحيث يكون هناك من الإحتضان والنظر للطفل والإهتمام به ما يسبب الاستواء النفسي له والله المستعان.

على الأمهات والآباء أن يعرفوا أن ملاعبة الأطفال والتودد لهم لا ينافي الوقار والهيبة أبدًا، لكن لكل مقام مقال.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء السادس والعشرون

الأربعاء: ٢١ جماد الآخر ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا أن هدانا للإسلام وأن حفظ علينا القرآن، وأن حفظ علينا السنَّة المباركة التي تجعل الإنسان يضع قدمه على أرض ثابتة في كل تصرف يتصرفه، منّة عظيمة ويا ليت قومي يعلمون، منّة عظيمة بدلًا من أن يشتغلوا في قراءة كلام فلان وعلان من أهل الدنيا فلنقرأ كلام رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ولنجتهد في بيانه، فإن من منّة الله أن سخّر رجالًا لحفظ هذه السنَّة المباركة، نسأل الله أن يتقبل منا قراءتنا وسماعنا للسنة وأن يجعلها في ميزان حسناتنا وأن يجعلها سببًا لهدايتنا للصراط المستقيم في كل شأن من شؤوننا، وسببًا لسيرنا على الصراط يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، نسأله أن نكون ممن سار في الدنيا على صراط رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فشرب من حوضه شربة هنيئة لا يظمأ بعدها أبدًا، وسار على الصراط المستقيم أسرع ما يكون السير، ونجا من جهنم بسبب حبه لرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وسيره واستقامته على منهجه -صلّى الله عليه وسلّم- نبدأ اليوم إن شاء الله في باب:

٤٧- بَابُ الْوَلَدُ قُرَّةُ الْعَيْنِ

٨٧- حَدَّثَنَا بِشْرُ ابن مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا صَفْوَانُ ابن عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابن جُبَيْرِ ابن نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَلَسْنَا إِلَى الْمِقْدَادِ ابن الأَسْوَدِ يَوْمًا، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: طُوبَى لِهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ رَأَتَا رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-، وَاللهِ! لَوَدِدْنَا أَنَّا رَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ، وَشَهِدْنَا مَا شَهِدْتَ. فَاسْتُغْضِبَ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ، مَا قَالَ إِلَّا خَيْرًا! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: (مَا يَحْمِلُ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ يَتَمَنَّى مُحْضَرًا غَيَّبَهُ اللَّهُ عَنْهُ؟ لاَ يَدْرِي لَوْ شَهِدَهُ كَيْفَ يَكُونُ فِيهِ؟ وَاللَّهِ! لَقَدْ حَضَرَ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- أَقْوَامٌ كَبَّهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ؛ لَمْ يُجِيبُوهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ! أَوَلاَ تَحْمَدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ أَخْرَجَكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ إِلَّا رَبَّكُمْ، فَتُصَدِّقُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ -صلّى الله عليه وسلّم-، قَدْ كُفِيتُمُ الْبَلاَءَ بِغَيْرِكُمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهَا نَبِيٌّ قَطُّ، فِي فَتْرَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِينًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ! فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَرَى وَالِدَهُ أَوْ وَلَدَهُ أَوْ أَخَاهُ كَافِرًا، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ قُفْلَ قَلْبِهِ بِالإِيمَانِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ هَلَكَ دَخَلَ النَّارَ، فَلاَ تَقَرُّ عَيْنُهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ، وَأَنَّهَا لِلَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} (الفرقان: ٧٤)).

شرحُ الكلمات:

- الطوبى: الحسنى، الخير.
- لوددنا: لتمنّينا.
- استغضب: أُغضِب.
- كبّهم الله: ألقاهم.
- مناخر: جمع منخر وهو ثقب الأنف.
- يتمنَّى محضرًا غَيّبَه الله عنه: أي: يتمنى أن يكون حضر ذاك المحضر.
- كُفيتم البلاء: استغنيتم عن البلاء بغيركم.
- فترة: المدة بين نبيين.
- الجاهلية: الجهالة والضلالة التي قبل الإسلام.
- الفرقان: القرآن الكريم.
- فلا تقر عَينُه: لا يُسَرُّ ولا يرضى.

نبدأ بالكلام حول هذا الحديث الذي فيه المقداد ابن الأسود، وهذا الرجل قيل: إنه من قُضاعة، وقيل: إنه من كندة، وله قصة أورثته الهروب إلى مكة، ثم منّ الله -عزّ وجلّ- عليه بالدخول في الإسلام وقد كان فارسًا شجاعًا يقوم مقام ألف رجل، كما قال عنه عمرو ابن العاص -رضي الله عنه- وكان من الرماة المذكورين من أصحاب الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- وكان من شجاعته أنه سريع الإجابة إذا دُعي إلى الجهاد حتى حينما تقدم به سنّه ممتثلًا قوله تعالى: {انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} (التوبة: ٤١) وله قصة في إسلامه وله قوة في حميته للإسلام. هذا موقف من المواقف التي مرت عليه، وبين فيها العقيدة السليمة فيما يجب أن يكون الإنسان عليه من الإيمان بالقضاء والقدر، والشاهد في الكلام عن الأبناء سيتبين من خلال قراءتنا للحديث.

تابعي رأى المقداد فوقع في قلبه حب للمقداد، ولحظة صفاء حصلت له فأحب عيني المقداد اللتين رأتا النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنه يشتهي رؤية النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وعبر عن حبه أن يكون ممن رأى الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- وشهد رسول الله، فوقع للمقداد غضب من كلامه، جبير ابن نفير عجب من غضب صاحب رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- والتابعي ما قال ما يُغضِب فقد عبر عن حبه له وللرسول -صلّى الله عليه وسلّم- المقداد أقبل على الرجل المتكلم يفسر سبب غضبه -وهنا الكلام عن الإيمان بالقضاء والقدر-: فزمانك الذي أتيت فيه هو المناسب لك، أنت كيف تثق في نفسك أنك لو كنت في ذاك الزمان لكنت

ممن آمن؟! هذا دليل على أنك لا تفهم نفسك من جهة، ومن جهة ما قدرت ما حصل في ذاك الزمان من صعوبات، سيبين المقداد -رضي الله عنه- ما مر به النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وكيف أن أصحاب رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لهم المكانة العالية في نفوسنا لأن هذه المصاعب التي واجهوها ومع ذلك اتخذوا هذا القرار، في أن يكونوا من أهل الإسلام، هناك أقوام أتوا للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- ورأوه، لكن بسبب حضورهم مع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أكبهم الله في النار لأنهم لم يجيبوه ولم يصدقوه، هل تتصور أن التصديق كان سهلًا؟! بمجرد أن يدعوك الرسول كنت ستؤمن؟ ما هذه الثقة في نفسك؟! ليس صحيحًا! الواجب أن تحمدوا الله أنكم أتيتم في عصر ما تعرفون الشرك، وإنما تعرفون ربكم مباشرة بالتوحيد وتعرفون أن هذا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- بالتلقين، لقنتم أنه رسول الله وقبلتم هذا -والحمد لله- صار أمركم على أنكم من أهل الإسلام، فقد كفيتم بلاء الحيرة والانتقال من عقيدة إلى عقيدة، والتطهير والتزكية من عقيدة قديمة باطلة إلى عقيدة جديدة صحيحة -وسيشرح ما كان عليه الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-.

إذا قورن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ببقية الأنبياء وكيف كان حال أقوام الأنبياء، كان النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أشد الأنبياء ابتلاءً بقومه من جهة كونهم ما سمعوا عن الوحي أبدًا، في فترة طويلة من الوحي وجاهلية عظيمة أغرقتهم، فهم قوم مفتخرين بما هم فيه ويرون أن هذا هو الصواب، وما أصعب التفريق بين الحق والباطل عند قوم هم على الباطل ولكنهم يرون أن باطلهم هو الحق، لكن أثر هذا أن هذا الدين أتى ففرق بين الوالد وولده، فماذا سيحصل عند الوالد وولده؟ هذه الحالة من أصعب الحالات التي يمر بها الإنسان أن الوالد يرى ولده أو الولد يرى والده أو أخاه كافرًا، ويكون هو -الحمد لله- قد فتح الله قفل قلبه بالإيمان، وهو متيقن أنه إن هلك هذا على كفره دخل النار، فكيف تقر عينه وحبيبه في النار؟ ولذا من النعم أن تكون ذرية الإنسان من أهل الإيمان، وبذلك تقر عين الإنسان، فالله كفاكم مثل هذه الحال الصعبة التي يكون فيها الوالد مؤمنًا والولد كافر أو العكس، فلا تقر عينه إلا أن يرضيه ربه بما قُسم له.

البخاري أورد هذا الحديث تحت هذا العنوان بأن هذا ما طُبعنا عليه؛ أن عيوننا لا تقر إلا بصلاح أولادنا؛ لأن الأولاد كما في الحديث السابق يسببون الحزن للإنسان إذا لم يكونوا في أحسن حال هو يتمناها، لكن أحسن حال بالنسبة للمؤمن هي أن يكون أبناؤه يشاركونه في طاعة الله.

فِقهُ الحديث:

١) أن المؤمن إذا رأى أهله يشاركونه في طاعة الله سُرَّ بذلك قلبه وقرَّت عينه للمساعدة في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة.

سواءً كان الإنسان كافرًا -والعياذ بالله- أو مؤمنًا، نحن طُبعنا على أن أولادنا قرة عين لنا، لا تقر عيوننا إلا بهم، لكن أهل الإيمان يرون أن قرة أعينهم أن يهبهم الله أزواجًا وذرية مؤمنين، فإذا شاركوهم في طاعة الله سُرت بذلك قلوبهم وقرت به أعينهم لأنهم يساعدونهم في الدين ولأنهم متيقنون أنهم سيجتمعون معهم في جنات النعيم.

٢) الولد الذي تقرّ به العين هو الولد الصالح، ليس كل ولد بقُرَّة عين.

إنما الولد الصالح، نسأل الله أن يكشف عنا وعنهم الغمة وأن نكون جميعًا صالحين لمجاورة رب العالمين في جنات النعيم.

٤٨- بَابُ مَنْ دَعَا لِصَاحِبِهِ أَنْ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ

٨٨- حَدَّثَنَا مُوسَى ابن إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ابن الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- يَوْمًا، وَمَا هُوَ إِلَّا أَنَا وَأُمِّي وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي، إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ لَنَا: (أَلاَ أُصَلِّي بِكُمْ؟) وَذَاكَ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلاَةٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: فَأَيْنَ جَعَلَ أَنَسًا مِنْهُ؟ فَقَالَ: جَعَلَهُ عَنْ يَمِينِهِ؟ ثُمَّ صَلَّى بِنَا، ثُمَّ دَعَا لَنَا -أَهْلَ الْبَيْتِ- بِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللهِ! خُوَيْدِمُكَ، ادْعُ اللَّهَ لَهُ، فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ، كَانَ فِي آخِرِ دُعَائِهِ أَنْ قَالَ: (اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ).

شرحُ الكلمات:

- خويدمك: صُغِّر تلطفًا وطلبًا لمزيد الشفقة لصغره لا تحقيرًا.

فِقهُ الحديث:

١) هذا من أعلام نبوته -صلّى الله عليه وسلّم- إذ أجاب الله دعاءه.

٢) فيه طلب الدعاء من أهل الخير والصلاح.

٣) جواز الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة فيهما.

٤) وفيه بيان فضل أنس رضي الله عنه.

هذا الحديث فيه وصف لموقف حصل مع أنس -رضي الله عنه- وفيه من الفوائد الكثيرة الدالة على طريقة التعامل مع الصغار، سواءً كان من الأم أو كان من رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.

فيقول أنس -رضي الله عنه- وهو خادم النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن أم سليم الأنصارية ألحقت أنس برسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- خادمًا له، هي أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، في الجاهلية تزوجها مالك ابن النضر فأنجبت له أنسًا، وعرضت عليه الإسلام فغضب عليها وخرج إلى الشام ومات هنالك، ثم خطبها أبو طلحة الأنصاري واشترطت إسلامه صداقًا لها فأسلم وتزوجها، وأنجبت له غلامًا، وهذا الغلام الذي مات وهو صغير في الحديث، فصبرت على هذا البلاء -والقصة مشهورة- ثم أخلف الله عليها بغلام آخر بورك لها فيه وهو عبد الله ابن أبي طلحة، وعبد الله هذا رُزق بعشرة أولاد كلهم يحفظون القرآن ويحملون العلم، فهي أخدمت رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ابنها أنس وكان عمره عشر سنين، منذ قدم الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- حتى مات وأنس يخدم الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- وهي كانت تغزو مع رسول الله فشهدت يوم أحد وكانت تسقي العطشى وشهدت يوم حنين، وكانت هذه المرأة ذات عقل وفضل وقد روت أحاديث عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وروى عنها أنس وابن عباس -رضي الله عنهما-.

دخل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يومًا إلى بيتهم، وما كان إلا أنس وأمه وخالته، وسألهم: (أَلا أُصَلِّي بِكُمْ؟) ولو صلى بهم الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- لنزلت البركات بهم -سبحان الله- فهذا من رفق الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- بأم سليم -وسيتبين أيضًا رفق أعظم عندما تطلب منه- وذاك في غير وقت صلاة، يعني هذه الصلاة ستكون نافلة، غالبًا في الضحى، فقال رجل من القوم الذين يسمعون الحديث المروي يريد أن يعرف فقهيًا أين مكان أنس؟ قال: جَعَلَهُ عَنْ يَمِينِهِ؟، صلى بهم ودعا لبيت أم سليم بكل خير من خيري الدنيا والآخرة، هذا من رفق النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ومن إحسان أم سليم وشفقتها وحنانها بأنس طلبت منه أن يدعو له، ومن حناها وشفقتها بأنس لم تتزوج إلا لما بلغ عشر سنوات وأعطته النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لينال شرف الملازمة للنبي وخدمته في بيت النبوة، وطلبت في هذا الموقف أن يدعو له.

في رواية أخرى: (يا رسول الله بأبي أنت وأمّي، إن لي خُويصة، هذا أُنيس خويدمك ادع الله له) كل هذا التمهيد الحكيم تريد الله أن يشرح صدر الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- لسماع مطلبها وتحقيق مرادها وهذا من التلطف عند السؤال وإظهار ما يسبب الإجابة، ليس أن يأتي الإنسان ويسأل سؤال المتكبر إنما يظهر حاجته بأدب وتلطف عند السؤال، قابل هذا التلطف من أم سليم بابنها رفق النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالمرأة وبأنس وسماع سؤالها والمبادرة لإجابة طلبها، بل والمبالغة في الدعاء لصغيرها تحقيقًا لرغبتها وإرضاءً لها؛ لذلك قال أنس: فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ وفي رواية: (فما ترك خير آخرةٍ ولا دنيا إلا دعا لي به)، ومن ذلك أنه دعا له دعاء طويل فيه خير كثير ثم في آخر دعائه أن قال: (اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ) وهذا فيه دليل على مشروعية الدعاء من المسلم للمسلم، ومشروعية الدعاء بكثرة المال والولد، وأن يكون هذا خير على الإنسان في دنياه وأخراه، يعني ليس المال والولد الذين يلهيانه إنما غنى لا يطغينا، وصحة لا تلهينا. ونلاحظ: (وَبَارِكْ لَهُ) من الأدب الذي نتعلمه من الدعاء أن أي شيء يتعلق بالدنيا نضم إلى دعائه الدعاء بالبركة؛ لأن البركة صيانة من الخطر ومتى بورك في المال والولد لم يكن فيه فتنة، نحن نطلب ما ينفعنا في دنيانا ولا يضرنا، فإذا بورك في المال والولد لم يكن فيه فتنة ولا يحصل بسببه ضرر ولا تقصير في حق أحد ولا غير ذلك من الآفات التي يمكن أن تفسد علينا النعمة، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار.

وقد كان أنس -رضي الله عنه- وولده رحمة، وكانوا خير ونفع لا ضرر فيهم كلهم حفظ القرآن وروى العلم -فسبحان الله- هذا الحديث فيه من معالم نبوة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أمر واضح من أن الله استجاب لدعوته، وحصل أمر نادر وهو اجتماع كثرة المال مع كثرة الولد، ومن المعلوم في التاريخ أن أنس كان له بستان يثمر في السنة مرتين دون غيره.

قال أنس: (فَوَاللَّهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ على نَحْوِ المِئَةِ، اليَومَ)[1]، وقال أنس: (دعا لي رسول الله ثلاث دعوات، قد رأيت منها اثنتين في الدنيا وأنا أرجو الثالثة في الآخرة)، كثرة المال وكثرة الولد والبركة فيهما ومن المؤكد دخول الجنة الذي هو أهم من هذا كله.

الفقر والغنى من منح الله عزّ وجلّ، والله -عزّ وجلّ- يختبر العبد بالشكر والصبر، فلما دعا لهم بهذا ودعا لهم بالبركة كان الاختبار عليهم في ذاك الوقت الشكر، فقد وفق الله أنس -رضي الله عنه- هو وأولاده لذلك وحملوا العلم، والمقصود عندما ننظر للحديث أن الأم غاية في الحرص على صلاح ابنها، أم سليم في هذا الموقف طلبت رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أن يدعو له بهذا، فدعا له أن يكثر ماله وولده وأن يبارك له فيه فنحن ندعو لأولادنا بهذا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨١).

في اللّقاء القادم نكمل الكلام عن هذه الأحاديث المباركة التي تنفعنا في تربية أبنائنا ومعرفة الآداب التي نتعامل بها معهم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء السابع والعشرون

الخميس: ٢٢ جماد الآخر ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم أعنا أن نكون خير أمهات لخير أجيال تحمل التوحيد وهي مفتخرة بهذا الدين معتزة به، فإن في هذا الدين ما يجعل الإنسان في كرامة وعزة يصلح بها شأن الدنيا والآخرة، الحمد لله رب العالمين على هذا الدين.

نبدأ اليوم في الباب التاسع والأربعون وفيه:

٤٩- بَابُ الْوَالِدَاتُ رَحِيمَاتٌ

٨٩- حَدَّثَنَا مُسْلِمُ ابن إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضَالَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ ابن عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ، عَنْ أَنَسِ ابن مَالِكٍ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَعْطَتْهَا عَائِشَةُ ثَلاَثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ لَهَا تَمْرَةً، وَأَمْسَكَتْ لِنَفْسِهَا تَمْرَةً، فَأَكَلَ الصِّبْيَانُ التَّمْرَتَيْنِ وَنَظَرَا إِلَى أُمِّهِمَا، فَعَمَدَتْ إِلَى التَّمْرَةِ فَشَقَّتْهَا، فَأَعْطَتْ كُلَّ صَبِيٍّ نِصْفَ تَمْرَةٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَأَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ فَقَالَ: (وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَحِمَهَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهَا صَبِيَّيْهَا).

فِقهُ الحديث:

١) جواز السؤال للمحتاجين والمنكوبين لسدَّ حاجتهم.

٢) سخاء عائشة لأنها آثرت بما وُجِد عندها.

٣) ينبغي للمتصدق أن يتصدق بما تيسر له قَلّ أو كثر.

٤) جواز ذكر المعروف إن لم يكن على وجه الفخر والمَنّ.

٥) إن الله لا يرحم إلا عباده الرّحماء.

هذا الحديث -كما هو ظاهر- تحكي فيه عائشة -رضي الله عنها- للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- عن امرأة جاءت تسأل، و(تسأل) بمعنى أنها في حالة من الفقر الشديد وتسأل عن شيء تأكل به، فأعطتها عائشة -رضي الله عنها- ثلاث تمرات، هذه المرأة معها طفلين وهي الثالثة، فأعطت كل صبي تمرة، الأم لم تبدأ بالأكل بل أمسكت تمرة تنتظر الصبيان، فأكل الصبيان التمرات ونظرا إلى أمهما، فشقت التمرة وأعطت كل صبي نصف تمرة، لما جاء النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أخبرته عائشة بالحدث فقال: ما الذي تتعجبين منه؟ إن هذا الفعل الذي فعلته تدعو إليه النفس، وفي نفس الوقت كان سببًا لدخولها الجنة.

هذا دين عظيم، الله أعتق هذه المرأة وأوجب لها الجنة ورحمها بسبب شفقتها على أبنائها أو على بناتها، كما في الحديث الآخر؛ لأنها في رواية مسلم قالت: (جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا)[1]، وهنا: (صبيان)، وهو عمل يسير ليس فيه كُلفة، بل هو من الأمور التي ستكون في نفسنا بطباعنا وجبلتنا، لكن هذه المرأة بلغت رحمة الله بهذا العمل اليسير وأصبحت أهلًا لأن يدخلها الله الجنة وينجيها من كربات القيامة.

سبحان ربنا الشكور أنت في نظرك هذا عمل صغير وربما يفعله الإنسان من دون أن يعطيه شيئًا كثيرًا من نفسه، لكن ليس بهذه الصورة، الله شكور يعطي على العمل القليل الأجر الكثير، فعلينا أن نطمع في رحمة الله ونلحظ أن أبواب الجنة قريبة: (الجَنَّةُ أقْرَبُ إلى أحَدِكُمْ مِن شِراكِ نَعْلِهِ والنَّارُ مِثْلُ ذلكَ.)[2] فأنتِ، أيتها المرأة -خصوصًا- عليك أن تحتسبي في قيامك على أبنائك وفي معاشرتك لهم، عمومًا كلنا علينا أن نحتسب في معاشرتنا لإخواننا وبرنا لوالدينا وفيما يتعلق بحقوق الجيران والأصحاب، بل كل أحد يجمعنا معه ارتباط أو دراسة أو عمل علينا أن لا نضيع هذه الفرص.

ونلاحظ أن هذا العمل النفس السوية تدعو إليه، وهكذا نفهم في الشريعة أن أبواب الأجور توافق الفطرة السوية، لدرجة أن تبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه} (الزلزلة: ٧-٨) فمِن أحسن الإحسان أن يحسن الإنسان إلى أبنائه، فقد رحمها الله برحمتها صبياها، هذا الشعور الموجود عندك أيتها الأم، الشعور الطبيعي الذي خلقك ربك به يمكن أن يكون وسيلتك إلى الدخول إلى الجنة، سبحان ربنا العظيم كيف يسر للمسلمين دخول الجنة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٠)

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٨)

٥٠- بَابُ قُبْلَةِ الصِّبْيَانِ

٩٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟! فَمَا نُقَبِّلُهُمْ! فَقَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم: (أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟!).

شرحُ الكلمات:

- أَوَ أملِك لك: أي: لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك والله نزعها منه.

قد مر معنا الإشارة إلى هذا الحديث وفيه بيان أن هذا الدين يوافق الفطرة السوية والرحمة التي خُلقنا عليها، والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- في هذا يضرب أروع الأمثلة في تواضعه ورحمته بالصغار، وعائشة -رضي الله عنها -تحكي هذا الموقف تقول: إن أعرابي أتى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- مستعجبًا أن رأى أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وصحابته يقبّلون الصغار، فهو رأى أن هذا أمر يخالف الوقار، فقال: إن الأعراب لا يقبّلون صبيانهم! فقال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها الله منه، وهذا دليل على أن تقبيل الصبيان من الرحمة التي تكون موجودة في قلب الإنسان، ليس هذا فقط بل -كما سيتبين في الحديث الذي بعده- أن تقبيل الصغار وحملهم والاحتفاء بهم مما يستحق به الإنسان رحمة الله تعالى.

والله إنه لشيء عجيب! تصور أنك تتقرب إلى الله وتطلب رحمته برحمة الصبيان! آمنا بالله، واعتززنا بهذا الدين العظيم الذي جعل ما يوافق الفطرة السوية يكون سببًا من أسباب رحمة الله.

فِقهُ الحديث:

١) تقبيل الإنسان خدّ ولده الصغير واجب على وجه الشفقة والرحمة واللطف.

٢) محبة القرابة سنة سواء كان ذكرًا أو أنثى.

صاحب الشرح يراه واجبًا، وهذا فيه دليل على أن الله تعالى قد أنزل في قلب الإنسان الرحمة، وإذا أنزل الله الرحمة في قلبه فإنه يرحم غيره، وإذا رحم غيره رحمه الله -كما سيأتينا-.

٩١- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ ابن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- حَسَنَ ابن عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ ابن حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسٌ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا! فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- ثُمَّ قَالَ: (مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ).

في هذا الحديث يظهر سبب الحديث السابق، رأى الأقرع ابن حابس التميمي -وهو من البادية- النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقبّل الحسن، فقال: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا! الرحمة بالناس، بل حتى بالحيوان عاطفة شريفة وخُلقٌ محمُود، وقد مدح الله به رسوله، فقال في حق نبينا -صلّى الله عليه وسلّم-: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} (التوبة: ١٢٨) وضد الرحمة: القسوة. وهي من صفات اليهود ابتلاهم الله بها لما نقضوا العهود: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا} أتت العقوبة ضربت القلب: {قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} (المائدة: ١٣) جعل الله قلوبهم قاسية، العقوبة ضربت القلب فحولها الله من الرحمة وهي فضيلة إلى القسوة وهي رذيلة.

لا تنفعل مع المؤثرات الخارجية التي تحيط بك فتجد نفسك تقسو على أبنائك بسبب ضرر يأتيك من الزوج أو المجتمع أو الخوف من نقد الناس! الرحمة تكون واضحة في الأبناء في تقبيلهم ومعانقتهم واحترامهم ومخاطبتهم على أنهم يفهمون، حتى تأديبهم وتربيتهم وإجابة رغباتهم ما دام فيها مصلحة، هذا كله من رحمتهم! إذًا لا بد من القول الكريم الذي نحترم به أطفالنا، لا بد من الصنع الجميل، ولا بد من الطاعة في غير معصية، ولا بد أن يكون هناك خدمة صادقة لهم.

الرحمة تكون من الآباء للأبناء ومن الأبناء للآباء، وتكون لأقربائنا بالبر والصلة والزيارة والمودة والسعي في مصالحهم، عندما تقضي حاجة من حاجاتهم يقضي الله حاجاتك، الرحمة من عطايا الله للإنسان؛ يرحمك الله بها إذا استعملتها في مكانها ورحمت بها أبناءك وزوجك ووالديك وأقرباءك، كل من يريد أن تنزل رحمة الله عليه فليرحم الخلق، سيرحمك الرحمن الرحيم فيسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة.

بسبب الفردانية وبسبب النظرة الدنيوية للحياة وبسبب الإقبال على اللذائذ ترك الناس الرحمة وذهبوا إلى القسوة، الخليقة بنفسهم سيقسون عليك، إذا حلت بك نائبة أو ضائقة فروا منك فأنت وقتها تستحق ما يأتيك، ليس هذا فقط بل يرفع الله عنك رحمته، فيكون الإنسان -والعياذ بالله- في الدنيا في معيشة ضنكًا، لا تنعم ولا هناء، وفي الآخرة لا ينظر الله إليك ولا يكلمك، ارحم تُرحم، وتخلّق بالرحمة يرفع الله شأنك ويصلح نفسك والله لا يضيع أجر المحسنين، والقسوة ما أتتنا إلا من وراء أحوال أهل الباطل، ومن النظر للدنيا إلى أنها مكان للنهم، ومكان للّذات! مع إنها رحلة تنقضي سريعًا.

فِقهُ الحديث:

١) تقبيل الولد من أهل المحارم، وغيرهم من الأجانب، إنما يكون للشفقة والرحمة لا لِلذَّة والشهوة.

٢) من لا يرحم الناس بالإحسان إليهم لا يُثاب بالرحمة من قبل الرحمن.

هنا واضح أنه يقول إن هذا التقبيل للصغار للشفقة وليس للّذة والشهوة، وهذا الكلام عن الناس المنحرفين -الله يعيذنا- الذين يمكن أن تنحرف نفوسهم فيخرجوا شهواتهم الجنسية على الأطفال، الله يحفظنا ويحفظ أطفالنا من كل شر، ومن أهل الشر نعوذ بالله منهم.

وتقرر معنا أن رحمة الله سببها أن ترحم الناس، ومن رحمة الناس رحمة الخلق الذين تحت يدك مثل: الخدم والسائقين ورحمة الناس الذين يسألونك حاجاتهم، كل هذا من رحمة الناس يرحمك الله بهم ينزل الله الرحمة عليك -الحمد لله- على هذا الدين العظيم.

٥١- بَابُ أَدَبِ الْوَالِدِ وَبِرِّهِ لِوَلَدِهِ

٩٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ ابن مُسْلِمٍ، عَنِ الْوَلِيدِ ابن نُمَيْرِ ابن أَوْسٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ: كَانُوا يَقُولُونَ: (الصَّلاَحُ مِنَ اللهِ، وَالأَدَبُ مِنَ الآبَاءِ).

فِقهُ الأثر:

١) الصلاح عطية الله سبحانه والأدب الحسن أفضل عطايا الوالد لولده.

٢) تربية الأولاد وتأديبهم من مسؤوليات الآباء الكرام.

هذا الأثر يقرر مسألة مهمةٌ جدًا؛ وهي أن الشريعة لا تطالبك بالنتائج، إنما تطالبك بأخذ الأسباب، لو أخذت الأسباب كما ينبغي ولو لم تأتِ النتائج فأنت قد فعلت ما يجب عليك.

لذا في هذا الأثر تقرر أمر مهم وهو أن الأدب من الآباء، أنت تقوم بما تستطيع من تأديب أولادك، ومن رعايتهم وليس المقصود أن تطعمهم وتسقيهم وتوفر لهم الجانب المادي وتسكنهم وتكسوهم، ليس هذه فقط متطلبات الأبناء، وبهذا تعتقد أنك ربيتهم! نعم، المطلوب توفير الحياة الكريمة لأطفالنا من الناحية المادية،

لكن الأهم تكوين نفسية سوية، تكوين إنسان متوازن، ينفع نفسه ومجتمعه، تؤدبه وتلقنه الحق وتجعله يفرق بين الحق والباطل، فلابد من إعداد قلبه وروحه وعقله، القلب هو قائد الجوارح، هو الذي يوجه السلوك.

فتربية قلب صحيح يقظ هو المطلوب من الأم، أن ترسخ فيه معاني تعظيم الله وتوقيره -سبحانه وتعالى- حتى يشعروا أنهم في الحياة ليسوا تائهين بل بحبل الله موصولين، والله إن هذا لأمر عظيم الذي نقوم به في التربية، لابد من بناء العقيدة الصحيحة في أنفسهم، لابد أن يعرفوا وظيفتهم في الحياة، لابد أن يعرفوا من هو الله؟ وكيف أنهم مختبرون، وأنهم في قاعة اختبار كبيرة في الحياة، وأن كل إجابة يجيبون على هذا الاختبار بها تكون بمدد من الله فيسألوا الله ويطلبوه ويرجوا منه.

فقلب هذا الطفل إنما خلق ليعرف الله، هذا الأدب الذي يجب أن نؤدبهم به، عقله لا بد أن يفرق بين الحق والباطل، وبين الصالح والطالح، وبين النافع والضار، لا بد أن يعرف كيف يغذي روحه بالإيمان؟ لابد أن يعرف من أين تأتي السعادة؟ وكيف يكون تطهير النفس.

بعد أن نفعل هذا كله ونبذل هذا كله، ونكون في أيامنا ولياليا مشتغلين بهذا كله، فلننتظر النتائج من الله، الصلاح عطية الله، أنت تأخذ بالسبب، تؤدب الإبن أحسن تأديب، هذه عطايا الوالد لولده لكن الصلاح ليس بأيدينا.

هذا الأثر يقرر مسألة مهمة في الشريعة وهي: أن الإنسان لا يحاسب على النتائج إنما يحاسب على الوسائل التي أخذها، وهذا بالضبط عكس التصور العلماني الذي يقول إن الإنسان مطلوب منه النتائج لذلك تبرر أي وسيلة من أجل النتيجة.

٩٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الأَعْلَى ابن عَبْدِ الأَعْلَى الْقُرَشِيُّ، عَنْ دَاوُدَ ابن أَبِي هِنْدَ، عَنْ عَامِرٍ، أَنَّ النُّعْمَانَ ابن بَشِيرٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ أَبَاهُ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يَحْمِلُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: (أَكُلَّ وَلَدَكَ نَحَلْتَ؟) قَالَ: لاَ، قَالَ: (فَأَشْهِدْ غَيْرِي) ثُمَّ قَالَ: (أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟) قَالَ: بَلَى. قَالَ: (فَلاَ إِذًا). قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبُخَارِيُّ: لَيْسَ الشَّهَادَةُ مِنَ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم رُخْصَةً.

شرحُ الكلمات:

- نحلت: وهبت، أعطيت بغير عوض.
- فلا إذًا: أي: إذا كان يسرك استواءهم في البر فلا يصح أن تفضل بعضهم على بعض في النحلة.

في هذا النص تبين أن الآباء لا بد أن يكونوا في حال من الاتزان النفسي أثناء تربية أبنائهم، فلا يميلوا مع أهوائهم، بل يتعاملون بالعدل، وإن كان بعض الأبناء فيهم من البركة ومن حسن السلوك ما فيهم لكن هذا لا يسمح لنا أن ننحل أحدًا، نعطيه هبة مادية، أكثر من غيره، بل نحن نحتسب على الله أن نعدل بينهم فنتأدب نحن بالعدل ليتأدبوا هم بالعدل.

هذا الحديث يصلح أن يكون مدخلًا للباب التالي وفيه أحكام فقهية تحتاج إلى تفصيل فنجعله مدخلًا للقاءات الأسبوع القادم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الثامن والعشرون

الأحد، ٢٥ جماد الآخر ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان والتقوى -اللهم آمين-.

نكمل ما بدأناه في دراسة هذا الكتاب المبارك، كتاب: (الادَب المُفرَد) وشرحه: (رَشُ البَرَد) رحم الله جامعه وشارحه، وقد وصلنا إلى باب: (أَدَبِ الْوَالِدِ وَبِرِّهِ لِوَلَدِهِ) ..

٩٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الأَعْلَى ابن عَبْدِ الأَعْلَى الْقُرَشِيُّ، عَنْ دَاوُدَ ابن أَبِي هِنْدَ، عَنْ عَامِرٍ، أَنَّ النُّعْمَانَ ابن بَشِيرٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ أَبَاهُ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يَحْمِلُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: (أَكُلَّ وَلَدَكَ نَحَلْتَ؟) قَالَ: لاَ، قَالَ: (فَأَشْهِدْ غَيْرِي) ثُمَّ قَالَ: (أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟) قَالَ: بَلَى. قَالَ: (فَلاَ إِذًا). قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبُخَارِيُّ: لَيْسَ الشَّهَادَةُ مِنَ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم رُخْصَةً.

شرحُ الكلمات:

- نحلت: وهبت، أعطيت بغير عوض.
- فلا إذًا: أي: إذا كان يسرك استواؤهم في البر فلا يصح أن تفضل بعضهم على بعض في النحلة.

فِقهُ الحديث:

١) يجب أن يُسوّي المرء بين أولاده في الهبة فإن فضَّل بعضًا على بعضٍ جاز مع الكراهة عند الأئمة الثلاثة، والهبة صحيحة.

٢) استحباب التأليف بين الإخوة وترك ما يوقع بينهم الشحناء أو يورث العقوق للآباء.

٣) إمكانية ميل القلب إلى بعض الأولاد والزوجات دون بعض، أما العطية والهبة فيجب التسوية بينهم فيها.

٤) ضرورة استيضاح الحاكم عما يحتمل الاستيضاح، لقوله: (أَكُلَّ وَلَدَكَ نَحَلْتَ؟).

هذه الشريعة العظيمة شريعة العدل والرحمة، ومن صور العدل: المساواة بين الأولاد في العطايا، فتفضيل بعض الأولاد على بعض سيأتي بالأحقاد؛ لأن الإنسان إذا رأى أحدًا مفضلًا عليه، خصوصًا إذا كان يحب المفضِّل ويجد أنه يحب غيره أكثر منه سينتج من ذلك إيغارًا للصدور ومن ثم يحصل من الأولاد عقوق للآباء بسبب الداعي النفسي.

في هذا الحديث يخبر النعمان أن أباه أتى به إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يريد أن يشهد النبي -صلّى الله عليه وسلّم- على هبة أعطاها لهذا الولد لكي يشهد النبي -صلّى الله عليه وسلّم- على ما وهبه لابنه، سأله النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: هل أعطيت كل أولادك مثلما أعطيت النعمان؟ والمقصود هل سويت بينهم في العطاء؟ قال بشير: لا، فرفض النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن يشهد على هذا لأنه رأى أن هذا من الظلم والجور لأنه فضّل بعض ولده على بعض، والنبي لا يشهد على ما فيه ظلم، ثم وجّهه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- توجيه المربي المعلم المبين لنتائج الأحوال، فقال: ألا تحب وتسر أن يكون أولادك متساوين في البر والإحسان لك غير عاقين؟ قال البشير: بلى أحب هذا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا كنت تحب ذلك فلا تفعل هذا الأمر الذي يسبب خلاف ما تريد، لا تفضل بين أولادك بعضهم على بعض وسوِّ بينهم في عطائك إياهم.

وهذا من حسن تعليم النبي -صلّى الله عليه وسلّم- حيث بين الحكم وعلته، وأوضح للمخاطب مضرّة هذا الفعل، وفي الحديث أيضًا ما أراد البخاري الاستدلال عليه؛ لأن البخاري سمى هذا الباب: (باب بر الوالد) الوالد سيبدأ بالبر، في الحديث السابق: الوالد سيؤدب ابنه، وفي هذا الحديث لا يفعل أفعالًا تسبب بينهم إيغار الصدور، وهذا الأمر من حسن بر الوالد بولده.

أنت بر ابنك بأنك لا تسبب سببًا يكون في النهاية مثير له أن يعقك، فأحسن في تربيته وأدبه وغدًا سيقول: أدبني والدي. ويدعو لك لأنك أدبته، وأيضًا في هذا الباب، الذي هو مثل باب العطية، لا تجعل الأمر على وجه يسبب الأحقاد فغدًا يقول: هو الذي سبب لي ألا أبره لأنه لم يبرني في تربيته بكونه جعلني أحقد عليه أو على إخواني.

لذلك في فقه الحديث قال:

١) يجب أن يُسوّي المرء بين أولاده في الهبة فإن فضَّل بعضًا على بعضٍ جاز مع الكراهة عند الأئمة الثلاثة، والهبة صحيحة.

من جهة الحكم الفقهي تعتبر الهبة صحيحة، بمعنى: أنها في انتقال الملك من الأب إلى هذا الابن الذي قد وهبه لا تتأثر، لكن هذا مكروه، ويكون الأب بهذا قد أخطأ.

أيضًا من فوائد هذا الحديث:

٢) استحباب التأليف بين الإخوة وترك ما يوقع بينهم الشحناء أو يورث العقوق للآباء.

دورنا ونحن نربي أبناءنا أن يكون من دعائنا أن يؤلف الله بين قلوب أبنائنا لأنه بهذا تقر عين الآباء وأن نفعل مع الدعاء ما يكون فيه التأليف بين الإخوة، وإذا وسع الله عليك مالك فليكن منك هبة للجميع وإذا كان الأمر ضيق وكان أحدهم في حاجة إلى هذه الهبة فليكن هذا بعد مراضاة لإخوانه وبيان أنه لو وسع عليك ستعطينهم ولن تقصر في حقهم وأخوكم هذه حالته أو نحن في اضطرار لهذا الأمر، بحيث أن النفوس لا يجد الشيطان عليها طريقًا.

الفائدة الثالثة فيها أمر مهم يجب أن نفهمه وهو:

٣) إمكانية ميل القلب إلى بعض الأولاد والزوجات دون بعض.

هذا حاصل، فغصبًا عنك تحبين بعض أبنائك دون بعض، وأحيانًا يكون ليس لأنه يبرك أكثر لكن المِقَةِ من الله، -كما قال البخاري في باب آخر- يعني: المحبة من الله، أحبيه في قلبك لا مشكلة، أما العطية والهبة فيجب التسوية بينهم فيها.

هذا في غير الكلام عن الظروف الطارئة، مثلًا: هذا أحتاج إلى أن أعالجه، سيصرف مبلغًا أكثر، هذه ليست هبة بل أوضاع لكن الهبة التي تكون من باب الهدية، فلا بد من المساواة، وإذا حصل ووهب أحد أبناءه دون أحد، من جهة الملكية للابن هو ملكها لكن هناك كراهة في ذلك.

٤) ضرورة استيضاح الحاكم عما يحتمل الاستيضاح، لقوله: (أَكُلَّ وَلَدَكَ نَحَلْتَ؟).

من أجل أن يشهد النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فإذا كان هناك حاكم أو مفتي وسأل منه السائل شيء عليه أن يستوضح من أجل أن يصل إلى نتيجة.

هذا الباب كان في مسؤولية الوالد وبره لولده بعد أن سمعنا كثيرًا عن بر الولد لوالده.

٥٢- بَابُ بِرِّ الأَبِ لِوَلَدِهِ

٩٤- حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ عِيسَى ابن يُونُسَ، عَنِ الْوَصَّافِيِّ، عَنْ مُحَارِبِ ابن دِثَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: (إِنَّمَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ أَبْرَارًا؛ لأَنَّهُمْ بَرُّوا الْآبَاءَ وَالأَبْنَاءَ، كَمَا أَنَّ لِوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، كَذَلِكَ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ).

شرحُ الكلمات:

- إنما أسمَّاهم الله الأبرار: أي: إنما سمى الله تعالى الأبرار أبرارًا في القرآن.
- برّوا: أي: أحسنوا إلى آبائهم وأبنائهم وتحرَّوا محابَّهم.

فِقهُ الأثر:

١) من الحقوق التي يتعلق بالأبناء هي تعليمهم الفروض العينية وتأديبهم بالآداب الشرعية، والعدل بينهم في العطايا.

هذا يؤكد ما مضى بيانه وأن للأبناء على آبائهم حقوقًا كما إن للوالد على ولده حقوقًا، حتى في حديث مرفوع إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- من حديث عبد الله ابن عمر قال النبي: (وإنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا.)[1].

يقول ابن عمر -رضي الله عنه-: إن الأبرار الممدوحين في كتاب الله في مواطن كثيرة من كتاب الله، سماهم أبرارًا لأنهم قاموا بالدور المزدوج، فكانوا بارين بوالديهم، يقومون بحقوقهم في حياتهم وبعد مماتهم، ثم هم أنفسهم قاموا ببر أبنائهم، بروا أبناءهم بداية باختيار الشريك المناسب، الرجل يختار زوجةً صالحةً والمرأة تختار رجلًا صالحًا من أجل أن تكون هذه بداية البر، ثم يبدأ بعد ذلك مشوار البر مع الأبناء من عند تحنيك المولود بعد ولادته وتسميته بأسماء طيبة، وكل ما تتصور من حقوق أمرت بها الشريعة، إلى أن نصل إلى أمر مهم جدًا وهو التربية على العقيدة الصحيحة الخالية من الشرك والبدع، الاهتمام بتعليمهم التوحيد، انظر ما قاله لقمان لابنه وهو يعظه: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (لقمان: ١٣) تعليمهم الصلاة لسبع من البر للأبناء، فينبغي على كل أب وأم أن يبروا أبنائهم بتأديبهم وتعليمهم ما يحتاجون إليه من وظائف الدين، وهذا واجب على الأب، وسائر الأولياء قبل البلوغ.

وقد قال الشافعي: (وعلى الأمهات أيضًا هذا التعليم إذا لم يكن أب لأنه من باب التربية، ولهنّ مدخل في ذلك وأجرة هذا التعليم) -لو كانت تأخذه عند شيخ أو أحد يعلمه- (في مال الصبي فإن لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته لأنه مما يحتاج إليه) لو كان يتيمًا الأم تنفق من ماله عليه وتعلمه القرآن.

وأيضًا تربية الأبناء على الآداب في المأكل والمشرب والملبس والنوم والخروج من المنزل والدخول وركوب السيارة، بالإضافة إلى شيء في غاية الأهمية وهو: القيم العليا. من شهامة وجود ووفاء وصدق، يقابل ذلك إبعاده عن الرذائل من الجبن والبخل وقلة المروءة والكسل عن المكرمات والتفكير في النفس والأنانية، هذا

(١) أخرجه مسلم (١١٥٩)

كله لا بد من تنبيه هذا الابن عليه، وقد ذكر المناوي في فيض القدير: (كما أن لوالديك عليك حقًا كذلك لولدك عليك حقًا أي حقوقًا كثيرة منها تعليمهم الفروض العينية، وتأدبهم بالآداب الشرعية، والعدل بينهم في العطية، سواء كانت هبة أم هدية أم وقفًا أم تبرعًا) هذه مسؤوليتنا وبهذا نفهم معنى أمر الله -عزّ وجلّ- لنا في سورة التحريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} (الآية: ٦) ليس فقط نفسك، بل حتى أهلك لا بد أن تقيهم النار، والحسن البصري عبر عن ذلك فقال: (يأمرهم وينهاهم)، فالوقاية تكون بالأمر والنهي، بالإضافة لكل حقوقهم التي تعرفها من الإطعام والإنفاق، لا بد من التأديب.

قال في فقه الأثر:

١) من الحقوق التي تتعلق بالأبناء هي تعليمهم الفروض العينية وتأديبهم بالآداب الشرعية، والعدل بينهم في العطايا، كما تبين من كلام المناوي.

ننتقل للباب التالي:

٥٣- بَابُ مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ

٩٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن الْعَلاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ ابن هِشَامٍ، عَنْ شَيْبَانَ، عَنْ فِرَاسٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ).

فِقهُ الحديث:

١) الحث على الرحمة لجميع الخلق فيدخل فيها المؤمن والكافر والبهائم.

٢) المراد بالرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدّي بالضرب.

٣) من لا يَرحم كما ذُكر أعلاه، يُحرم من رحمة الله.

٩٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن سَلامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ ابن وَهْبٍ، وَأَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ جَرِيرِ ابن عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: (لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ).

فِقهُ الحديث:

١) الرحمة من الخلق، العطف والرأفة، والرحمة من الله، الرضا عمن يرحم.

٢) من لا يرحم الناس بالإحسان إليهم والرأفة بهم لا يُثاب من قبل الرحمن بالرضا عنه.

هذا الباب عمومًا وهذه الحديثين قد مر معنا الإشارة إليهم في حديث الأقرع ابن حابس لما قال: لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا! فقال الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-: (من لا يرحم لا يرحم) والمعنى واضح، المقصود أن الإنسان إذا فقد مشاعر الرحمة بالخلق كان هذا سببًا ألا يُرحم هو من عند الرب سبحانه وتعالى.

السؤال هو ما الذي يجعل الإنسان لا يرحم ..؟

بكلام مختصر فقدان الرحمة يكون بسبب إلتهاء القلب بالأنانية واللذائذ والمحاب الدنيوية، وانشغال القلب وإلتهائه عما خُلق له، هذا السبب الذي يجعل الإنسان لا يرحم.

الرحمة تكون لمن ..؟ وجه المؤلف كلامه بما هو موجود في الحديثين: (مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ)(لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ) وحين نسمع (الناس) فهي تعني: المؤمن والكافر والبهائم، فأنت في أي موقف ترى شيئًا فظيعًا، ترى بردًا قارسًا يصيب الناس سواءً كانوا كفارًا أو مسلمين لا بد أن تقع في نفسك الرحمة بهم، هذه الرحمة التي يدخل فيها حتى الكافر تكون في الحالات التي يصل فيها الناس إلى غاية الضعف، يكون في ضعف إنساني فلا يمكنك أن ترى مشردًا أو حتى بهيمة قد أخذ البرد منها كل عضو وكل مفصل وتكاد تتجمد، لا يمكن أن يقع هذا ولا تقع في قلبك الرحمة بهم.

أيضًا الرحمة تكون بالأقارب برًا وصلة، وبالزوجات عشرة بالمعروف وإخلاص متبادل، الرحمة بالزوج تكون بعدم إرهاقه بالطلبات وهو لا يكلفها بالمرهقات ويتعاونون، الرحمة بالناس إرشادهم للخير وتعليمهم، عندما ترى شباب غارقين بعيدين لا بد أن تقع في قلبك الرحمة فتدعو رب العالمين أن يكشف عنهم هذه الغمة، الرحمة بالعصاة واجبة من جهة الإشفاق عليهم أنهم بعيدون وأنهم ما ذاقوا الصلة برب العالمين، الرحمة بتاركي الصلاة واجبة لأنه يقع في قلبك شعور أنهم مساكين ما ذاقوا من الدنيا ألذ ما فيها وهو السجود بين يدي رب العالمين، ألذ ما في الدنيا أن تخضع للملك الكريم وتناجيه وتسأله وأنت متأكد أنه ما يخيبك وهو رب العالمين -والله المستعان- الرحمة بالناس عمومًا فتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك؛ تطعم الحيوان، وتسقيه ولا تكلفه عسيرًا، إن كان من البهائم التي تعمل، لا تحمل ثقلًا عليها.

هذا من أهم شعائر الدين؛ أن تؤمن أن ربنا الرحيم الذي تسمي باسمه في كل شأن وتعرف أنه الرحمن الرحمين هذا شعار الدين الذي يميزنا عن الأفكار المتوحشة من رأسمالية وشيوعية وغيرها ممن يريد أن يمص دم الإنسان ويجعله كالسلعة تُباع وتُشترى، عندما تسمع أخبار العبودية التي كانت في القرن الماضي والذي قبله وترى كيف كانوا في غاية الإجرام مع بني آدم تعرف أن هذا الدين دين الرحمة وتحمد ربنا أنه لما عرف نفسه لك في سورة الفاتحة بين أنه هو رب العالمين وأنه ربى العالمين برحمته، هذا أول ما يحفظه أبناءنا؛ أن ربهم الرحمن الرحيم -فالحمد لله رب العالمين-.

إذا كانت الرحمة خليقتك فأول شيء الله يعطف عليك قلوب الناس فيرحمونك كما رحمتهم، أحيانًا تقول: الحمد لله ربنا سخر لي هذا وهذا وأنا لا أعرفهم، أنت طيب تجد الطيبين، وإذا وجدت أناس غير طيبين.

لتزيد أنت طيبًا وتقول: هذا سيكون مظهري عندما لا أعرف الناس؟ أعوذ بالله، الله لا يجعلني أشق على الناس كما يشق هؤلاء عليهم، وحين تجد الراحمين تقول: الحمد لله الذي سخر لي الراحمين من أجل أن أزداد رحمة.

والأهم من رحمة الناس أن يرحمك الرحمن الرحيم فيسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، ولا تستجلب رحمة الله بأعظم من رحمة الخلق، إذا تركت الرحمة وانتقلت إلى القسوة ابتلاك الله بالقاسين، فإن نابتك نائبة أو حلت بك ضائقة ستتجرع أنت طعم ما فعلت، والأعظم من ذلك أن القسوة سبب لانصراف الرب عنك وسبب أن تتعرض للعذاب فارحم تُرحم والله لا يضيع أجر المحسنين والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء التاسع والعشرون

الإثنين: ٢٦ جماد الآخر ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله برحمته أن يشملنا وبلطفه أن ينجينا من كل شر وبلاء وفتنة، وأن يكشف عنا وعن المؤمنين ما نزل بهم من بلاء وأن لا يجعلنا ممن اعتاد الشقاء، فإن رحمة الله قريبة من المحسنين التائبين والمستغفرين، اللهم افتح لنا أبواب رحمتك وارحمنا وارحم المسلمين واحفظ علينا نعمائك بإقامة الدين وببقاء المصلين في المساجد يصلون، وببقاء عمار الحرمين بالزائرين والطائفين والركع السجود -اللهم آمين-.

كنا وصلنا في كتاب: (رَشُ البَرَد؛ شَرح الادَب المُفرَد) باب: (مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ) وقرأنا أول حديثين، نكمل الآن الكلام حول هذا الباب، إن شاء الله ..

٩٧- وَعَنْ عَبْدَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرِ ابن عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: (مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ لا يَرْحَمُهُ اللَّهُ).

فِقهُ الحديث:

١) مضى شرحه، انظر الحديث رقم(٩٦).

٩٨- وَعَنْ عَبْدَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ، فَوَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: (أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَزَعَ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟).

فِقهُ الحديث:

١) مضى شرحه، انظر الحديث رقم(٩٠).

٩٩- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ ابن زَيْدٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا، فَقَالَ الْعَامِلُ: (إِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ! فَزَعَمَ عُمَرُ، أَوْ قَالَ عُمَرُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا أَبَرَّهُمْ).

شرحُ الكلمات:

- أبرَّهم: أوفاهم بحقوق الناس وحقوق الله.

فِقهُ الأثر:

١) يُفهم من كلام عمر رضي الله عنه أنَّ أوفى الناس بحقوق العباد وحقوق الله أقربهم من رحمة الله. وكلام عمر هذا مستفاد من كلام الله وكلام رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- حول جزاء البِرّ والإحسان إلى الآخرين.

هذه النصوص كلها مررنا على معانيها في اللّقاء الماضي، وفهمنا أن من لا يرحم الناس لا يرحمه الله، وأنه كما ذكر عمر -رضي الله عنه- أن الله -عزّ وجلّ- لا يرحم من عباده إلا أبرّهم، أي أن أوفى الناس بحقوق العباد وحقوق الله أقربهم من رحمة الله -كما ذكر الشارح-.

أنت تقوم برحمة الناس يرحمك الله، يرحمك الله لأنك تقوم بحقوق الناس لكن قبل حقوق الناس لا بد أن تقوم بحق الله؛ لذلك، هذا من فقه -عمر رضي الله عنه- (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا أَبَرَّهُمْ)، الأبرار الذين قاموا بالبر وقاموا بحقوق العباد وكانت في قلوبهم رحمة بهم، فرحمة الله قريب من المحسنين، وهذه المعاني كلها اتضحت فيما سبق معنا من نقاش. نبدأ باب ٥٤ ..

٥٤- بَابُ الرَّحْمَةُ مِئَةُ جُزْءٍ

١٠٠- حَدَّثَنَا الْحَكَمُ ابن نَافِعٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سَعِيدُ ابن الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ).

شرحُ الكلمات:

- حتى ترفع الفرس: خص الفرس بالذكر لأنها أشد الحيوان حذرًا من أن يصيب ولدها الضرر من وقع حافرها عليه وإن وُجدت فيه الخفة والسرعة في التنقل.
- حافر الفرس: بمنزلة القدم للإنسان.

فِقهُ الحديث:

١) فيه بيان الرجاء والبشارة للمسلمين وإدخال السرور على المؤمنين؛ لأن العادة أنَّ الإنسان يفرح فرحًا شديدًا عندما يحصل له العلم بالشيء الموعود المخبوء؛ ولأنه إذا حصل له بالرحمة الواحدة في هذه الدار كل هذه النعم من الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله عليه به، فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة.

٢) فيه الحثُّ على الإيمان واتساع الرجاء في رحمات الله تعالى المدخرة ليوم القيامة.

٣) إنَّ الرحمة صفة من صفات الله العُلى وهي ثابتة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

هذا الباب فيه إثبات أن رحمة الله مئة جزء وفيه من البشارة ما فيه، فنبدأ بالترتيب في فهم هذا الباب.

الأمر الأول: يخبر -صلّى الله عليه وسلّم- بهذا الخبر العظيم عن رحمة رب العالمين، الرحمة صفة ثابتة لله تبارك وتعالى فهو الرحمن الرحيم، الرحمة صفة ومنها هذان الاسمان، فالله يوصف بالرحمة وله اسمان عظيمان يدلان على الرحمة، فهذه الصفة ثابتة على ما يليق بجلاله وعظمته، ورحمة المخلوق أيضًا ثابتة للمخلوق على ما يليق بحاله وضعفه وعجزه وافتقاره، أنزل الله في الأرض جزءًا واحدا تتراحم به الخلائق، هذه الصفة خلقها الله في قلوبهم، وهي صفة كل الخلق في طبيعتهم يشتركون فيها، فهؤلاء الخلائق من الآدميين والحيوانات والطيور والهوام كلهم يشتركون في رحمة واحدة وزعت عليهم وإن كان بينهم تفاوت، حتى البهائم والخلق بينهم تفاوت كما بين السماء والأرض، نفس الخلق بينهم تفاوت في الرحمة، هل كل أب وأم في قلبهم نفس الرحمة لأبنائهم؟ هناك آباء وأمهات في غاية الشفقة والرحمة على أبنائهم، وهناك -والعياذ بالله- أناس آخرين عنيفين ترى الآن ما يحصل مما يسمونه بـ"العنف الأسري" وهو عبارة عن نزع الرحمة من قلوب الآباء فصار قلبهم غاية في القسوة والغلظة والجفاف كأن قلبهم قطعة من حجر، ونفس الكلام بالنسبة للأبناء أيضًا، يكونون غاية في الرحمة لآبائهم وأمهاتهم، وأحيانًا لا يبالون بهم ولا توجد عندهم رحمة لوالديهم، هذه

الرحمة يتفاوت جميع الخلق فيها والناس نفسهم يتفاوتون والله قسمها بين خلقه، تصور أرق الناس، أكثر الناس رحمة، ولم يكن أعظم من رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- رحمة، وتصور عكس ذلك؛ أكثرهم قسوة، كل هؤلاء يتراحمون بالجزء الواحد من المئة جزء الذي أنزله الله، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق.

ثم يصور -صلّى الله عليه وسلّم- صورة من هذه الرحمة لطيفة وعجيبة، الدابة، هي كل ما يدب على الأرض وخاصة ذوات الأربعة في العرف هي الدواب، هنا ترفع الفرس حافرها عن ولدها، ذكر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الحافر كمثال ربما يكون بسبب أن ذوات الحوافر هي أكثر ما يشاهده الناس ويصاحبونه، فهي مركوبة، كأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يفسر مظهر هم يرونه، أترون رفع الدابة حافرها عن ولدها؟ هذه البهيمة تخشى أن تصيب ولدها من رحمتها به.

وفي رواية أخرى: (إنَّ للهِ مائةَ رحمةٍ، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجنِّ و الإنسِ و البهائمِ و الهوامِّ ، فبها يتعاطفون ، و بها يتراحَمون ، و بها تَعطفُ الوحوشُ على ولدِها ، و أخَّر تسعًا و تسعين رحمةً ، يرحمُ بها عبادَه يومَ القيامةِ)[1] معنى ذلك: أن البهائم كلها من وحشي وطير وبهيمة الأنعام، حتى الحشرات والحيات والعقارب كلها تتعاطف وتتراحم، وحتى الوحوش غير المستأنسة والتي تفترس غيرها فيها رحمة بأبنائها.

وفي رواية: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَومَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِئَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ ما بيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَعَلَ منها في الأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الوَالِدَةُ علَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا علَى بَعْضٍ، فَإِذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهذِه الرَّحْمَةِ)[2] تملأ ما بين السماء والأرض، نسأل الله أن يشملنا برحمته وأن يجعلنا من عباده المرحومين ويغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين. يا رب اغفر لنا كل ذنوبنا وارحمنا واكشف عنا هذا البلاء العظيم، اكشف عنا هذه الجائحة واصرف عنا شرها وجميع المسلمين.

الأمر الثاني: عندما ننظر لهذا الحديث ونعرفه -كما ذكر الشارح- هذا يؤثر في سعة رجائنا، في انتظارنا لرحمة الله في كل أمورنا، فإذا كان العبد مذنبًا لا يقنط من رحمة الله بل يبادر إلى التوبة والله غفور رحيم مهما تعاظمت ذنوب العباد، ومهما كان يشعر الإنسان أنه يحتقر نفسه أنه دخل في هذا الباب من أبواب البعد عن الله، يقال له: تريّث لا يكن هذا حالك مع الله، ما دمت بقوتك وصحتك أقبل على الله، وحتى عندما تكون في ضعفك وأنت في سكرات موتك، فلا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، تذكّر سعة الله، ارجُ الله لتقبل عليه، هذا الرجاء المثمر وليس الرجاء الذي يجعل الإنسان يتمادى.

---

(١) صححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٣)

إذا أصبت بالمرض لا تُسود الدنيا في وجهك ولا يُظلِم ناظرك، إذا ضاق عليك رزقك لا يكن هذا حالك وتذكّر أن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها فانتظر فرج الله وعافية الله، إذا نزلت عليك بلية في مالك أو ولدك أو نفسك فانتظر ألطاف الله، فالله رحيم، افهم أن كل أمر أنت تراه مكروهًا لا بد من رحمة الله أن يجرك إلى خير، لا تعترض على قدر الله -نعوذ بالله من الاعتراض- لا تتسخط ولا تتشك ولا تقل مثلما يقول الجهال -نعوذ بالله- ولا تقل كلامًا لا يليق، ما ابتلاك الله ليهلكك، إنما ابتلاك ليرحمك فهو أرحم بك من نفسك، لكن نحن ضيقي الأُفق وما نرى هذا الأمر، وما نرى إلا الشيء القريب العاجل أمامنا، ولو نظر الإنسان إلى العواقب البعيدة سيدرك أن كل ما قدره الله خير؛ لأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: (عَجَبًا لامْرِ الْمُؤمنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ)[1] وفي الحديث الآخر: (عجِبْتُ لأمْرِ المؤمِنِ، إنَّ اللَّهَ لا يَقْضي له قَضاءً إلَّا كان خيرًا له)[2] سواءً كان مكروهًا أو محبوبًا بالنسبة للإنسان، فالعبد قد يكون له مرتبة عالية عند الله فيسوق الله له أمرًا يكرهه من البلاء ليرفعه درجات، والعبد إذا أتى يوم القيامة -كما جاء في الحديث- (حتى إنَّ أهلَ العافيةِ لَيتمنَّونَ في الموقفِ أنَّ أجسادهم قُرِضتْ بالمقاريضِ من حُسنِ ثوابِ اللهِ)[3] فأهل العافية يتمنون حين يروا أهل البلاء أنه لو قرضت أجسادهم بالمقاريض لما يصنع لهم من الإسراع بهم إلى الجنة، ورفع درجاتهم إلى الأعلى -سبحان الله- يحصلون من الأجور العظيمة.

وهذا مثل عندما نمنع الصغير من شيء بسيط من أجل أن يحصل شيئًا عظيمًا فهو يرى المنع قسوة وشدة وألم، لكنه سيرى فيما بعد أن العاقبة خير وأنه فعل به ذلك لمصلحة، وإن كان هو لا يدرك الآن، فنحن مثل هذا الصغير عندما ننظر لأفعال الله، عقلنا يصغر فجأة وكأنه لا توجد تجارب سابقة لنا، مع أننا لو خزنّا في ذاكرتنا جيدًا واستحضرنا ما مضى من لطفه وعطائه ما كان هذا سيكون حالنا، لكن من أجل حجب الغيب، ونحن لا نطلع على ما ورائه فهذه الحال، لكن نحن الآن نؤمن بما أتى به الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- والنبي أخبرنا عن عواقب الأمور بالنسبة لأهل الإيمان والواجب علينا أن نستحضر هذه المعاني وأن الله أرحم بنا من أنفسنا، ومن والدينا ومن كل أحبابنا فنثق فيه -سبحانه وتعالى- ولا نضيع أنفسنا بما يفعله الشيطان مع أهل الإيمان، لا نضيع أنفسنا بالاستماع لوساوسه، بل نكون شديدي الإقبال على الله سائلين الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا ممن يؤمن به حق الإيمان وتزيدنا المواقف يقينًا، ننجح في الاختبار، نسأل الله أن ينجحنا في جميع الاختبارات.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩)

(٢) صححه شعيب الأرناؤوط.

(٣) السلسلة الصحيحة للألباني.

أبشر فربنا رحمن رحيم؛ لأن العادة أن الإنسان يفرح فرحًا شديدًا عندما يحصل له العلم بالشيء الموعود المخبوء، الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- أخبرنا أن رحمة الله عظيمة واسعة -وكما في الحديث: إن هذه الرحمة كما بين السماوات والأرض، سبحان ربنا العظيم! برحمة واحدة نحن مسلمون وأنزل القرآن فنقرأه ونتغنى به ونصلي ونناجي رب العالمين، ونصلي في الليل مؤمنين أنه ينادي: هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ كل هذا من رحمته، والرحمة التي في قلوبنا من رحمته -سبحانه وتعالى- والنعم العظيمة التي حولنا، هذه كلها من رحمة واحدة فماذا تظن بمئة رحمة في الآخرة ..! الحمد لله رب العالمين.

علينا دائمًا أن نذكر أنفسنا ومن حولنا أن ربنا رحمن رحيم، وأن برحمته -سبحانه وتعالى- سنصل إلى جنات النعيم فلا نُيئس الناس من رحمة الله، بل نجعلهم يقبلون على الله، ونبين لهم بيانًا واضحًا، جادًا، مؤكدا أن رحمة الله وسعت كل شيء وعمّت كل حيّ، فلا يكن في قلبك أبدًا القنوط من رحمة الله، بل دائمًا الأمور إلى خير.

الأمر الثالث: إن الرحمة من صفة الله العلي -والحمد لله- الذي جعلنا على هذا الاعتقاد السليم وهذا من أعظم رحمة رب العالمين، أن جعلنا من أهل السنّة والجماعة المجتمعين على سنّة النبي الكريم الذين يعون معنى أن الله كامل الصفات، كما أخبر في الكتاب والسنّة، هذا باب عظيم من الإيمان لو كنا نعلم كم منّ الله على أهل السنة بصفاء عقيدتهم وصلاح أحوالهم لكن الغفلة والجهل! نسأل الله أن يرفع الغفلة والجهل عن المسلمين -اللهم آمين-.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس الجزء الثالث

اللقاء الواحد والعشرون ٢
٤١- بَابُ مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ أَوْ وَاحِدَةً ٣
٤٢- بَابُ مَنْ عَالَ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ ٤
اللقاء الثاني والعشرون ٩
٤١- بَابُ مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ أَوْ وَاحِدَةً ١٢
٤٢- بَابُ مَنْ عَالَ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ ١٢
اللقاء الثالث والعشرون ١٦
٤٣- بَابُ فَضْلِ مَنْ عَالَ ابْنَتَهُ الْمَرْدُودَةَ ١٩
اللقاء الرابع والعشرون ٢٢
٤٤- بَابُ مَنْ كَرِهَ أَنْ يَتَمَنَّى مَوْتَ الْبَنَاتِ ٢٣
٤٥- بَابُ الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ ٢٧
اللقاء الخامس والعشرون ٣٠
٤٦- بَابُ حَمْلِ الصَّبِيِّ عَلَى الْعَاتِقِ ٣٥
اللقاء السادس والعشرون ٣٩
٤٧- بَابُ الْوَلَدُ قُرَّةُ الْعَيْنِ ٤٠
٤٨- بَابُ مَنْ دَعَا لِصَاحِبِهِ أَنْ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ٤٣
اللقاء السابع والعشرون ٤٧
٤٩- بَابُ الْوَالِدَاتُ رَحِيمَاتٌ ٤٨
٥٠- بَابُ قُبْلَةِ الصِّبْيَانِ ٥٠
٥١- بَابُ أَدَبِ الْوَالِدِ وَبِرِّهِ لِوَلَدِهِ ٥٢
اللقاء الثامن والعشرون ٥٥
٥٢- بَابُ بِرِّ الأَبِ لِوَلَدِهِ ٥٨
٥٣- بَابُ مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ ٦٠
اللقاء التاسع والعشرون ٦٣
٥٤- بَابُ الرَّحْمَةُ مِئَةُ جُزْءٍ ٦٥